

تفاعل عائلات فلسطينية مع عيش أولادها تجارب جنسية وجندرية مختلفة

بحث ميداني | شباط 2021



تفاعل عائلات فلسطينية مع عيش أولادها تجارب جنسية وجندرية مختلفة

بحث ميداني | شباط 2021

كتابة البحث:
أسرار كيتال
لويس لويس

إعداد البحث:
عمر الخطيب

فريق البحث:
تمارا ناصر، آلاء عظون

مرافقة أكاديمية:
فتحي فليفل، محمد عبد الحليم،
مصطفى شلاعطة



35	الفصل الثالث: أنماط التفاعل لدى الأمهات وتأثيرها على تجربتهم/نّ	6	مقدّمة
36	الفقدان في تجربة الأمهات	6	خلفية عامة
37	الإنكار	7	سيرورة العمل
37	الغضب	8	لن هذا البحث؟
38	للساومة	9	تركيز مصطلحات
38	الاكتئاب	9	أسئلة البحث
39	التقبّل	9	للمنهجية
40	عن التقبّل والفقدان والأوممة		
41	الفقدان في سياق القهر	13	الفصل الأوّل: خلفيّة نظريّة- أنماط التفاعل في العائلات العربيّة والفلسطينيّة
45	الفصل الرابع: أنماط التفاعل التي ظهرت في العائلة الفلسطينية	15	مميّزات وخصائص أنماط التفاعل في العائلة العربيّة والفلسطينيّة
47	للموارد الأسريّة المتوافرة أو للمطوّرة لدى العائلة عموماً	17	التفاعل مع قضايا الجنسانية في واقع القهر
47	لحلّ المشاكل أو لمواجهة الأحداث الضاغطة		
48	عامل اللعاني التي تعطيها الأسرة للحدث الضاغط	21	الفصل الثاني: سيرورات داخلية وخارجية: أنماط تفاعل أشخاص يعيشون توجّهات جنسيّة وجندريّة مع تجاربهم/م
48	مراكمة الأحداث الضاغطة	23	للمستوى الأوّل: اكتشاف الهوية الجنسيّة ومسار التعامل الذاتيّ
49	للقوّم البنيوي: تماسك عاطفي وتوفير دعم ومساندة	24	الإنكار
49	للقوّم الوظيفي: وضوح دور الأفراد وقدرتهم على	24	الإدراك
49	الأداء ودور العائلة في التغلّب على التحدّيات	25	التصالح
49	مقوّم الانتماء: علاقة العائلة بالجتمع، مدى قبولها ومشاركتها به	28	للمستوى الثاني: مسار مشاركة الأهل
51	مقوّم الإنماء: التطوّر والنموّ في الموارد وللمؤهلات		العائلة كجزء من منظومة العنف: ردود فعل العائلة
53	الفصل الخامس: البحث في سياق عمل القوس: نظرة في الوجود والسعي للمنشود	29	من وجهة نظر الأولاد وأثرها على تجاربهم/نّ
59	استخلاصات نهائية	32	وقفه مع الأدبيات: العائلة ومفاهيم الاحتواء والاحتضان
63	المراجع		

شكّل إصدار الدليل المذكور خطوة مركزية في توسيع العمل في مجال الصحة النفسية والمجتمعية، وفي إتاحة المعرفة بشأن قضايا التعددية الجنسية والجنسانية والجنسيتين/ين للأخصائيين/ات والمهنيين/ات في هذا المجال؛ حيث جرى إطلاقه في يوم دراسي¹ حافل في مدينة رام الله، بالإضافة إلى حوارات وجلسات نقاش في القدس وشفاعمرو، إضافة إلى النقاش الإعلامي الغني والمتري حوله.

تشكّل هذه الجزئية بعضاً من عمل القوس المتنوع والذي يشمل إنتاج مشاريع فنية وثقافية حول قضايا التعددية الجنسية والجنسانية والجنسيتين، والعمل مع الإعلام الفلسطيني حولها، والحملات السياسية المناهضة للاحتلال، وغيرها. ومن المهم الإشارة إلى أنّ هذا العمل بمجمله يقوم على جهود وقدرات متطوعات وناشطين من قيادات القوس المحليّة والفُطريّة.

في هذا المشهد المركّب العالم والمتعدّد الأوجه، راكمت القوس في السنوات الأخيرة معرفة عميقة وقيمة حول قضايا التعددية الجنسية والجنسانية والجنسيتين، والديناميكيات والسياسات التي تحكمها وتسيّرها، وعليه تختار إستراتيجياتها ومشاريعها من صلب هذا المشهد ومن الإلام بتفاصيله وحاجاته، وبذلك وُلدت فكرة هذا البحث.

أدركنا، في السنوات الأخيرة، المركزية الكبيرة لمؤسسة العائلة في النسيج المجتمعي الفلسطيني، وعدم القدرة على التأثير أو التقدم في قضايا التعددية الجنسية والجنسانية دونما فهم وتحليل دقيق لمبناها وديناميكياتها ودورها، سواء أكان ذلك من خلال ناشطي القوس أو المهنيين/ات في المجالات المختلفة، أم من خلال التواصل الشعبي الواسع مع الجمهور الذي يأتي كتحصيل حاصل لعمل القوس.

ومن هذه الحاجة، بدأنا سيرورة التوسع بالمعرفة التي نمتلكها حول العائلة الفلسطينية وقضايا التعددية الجنسية والجنسانية، وكان لا بدّ من أن تنطلق هذه المعرفة من أرض الواقع، وارتأينا أن يكون هذا البحث الميدانيّ واحداً من الخطوات الأولى والأساسية في هذا المجال.

سيرورة العمل

واجهت سيرورة العمل على هذا البحث صعوبات ومعوقات كثيرة. ندرك في القوس الصعوبات الكبيرة التي نواجهها بسبب الأنظمة القمعية الأبوية والاستعمارية والرأسمالية التي تحدّ من عملنا، وبالتالي فإنّ هذا البحث ليس استثناءً، إلّا أنّه لطبيعة موضوعه وجِدته، اكتنفت العمل عليه تحديات من نوع خاصّ تطلّبت قدرات وآليات تعامل مميزة. حيث يشكّل الحديث عن العائلة الفلسطينية ارتباطاً بقضايا التعددية الجنسية والجنسانية نوعاً من اختراق الهالة التي تحيط بهذه المؤسسة الاجتماعية ذات القوة والتأثير (العائلة)، ويضع ما تحاول المؤسسات والبنى الاجتماعية المختلفة إقصاءه وتهميشه على طاولة التشريح والنقاش.

6 انظري في موقع القوس: "القوس تعقد يوماً دراسياً عن التعددية الجنسية والجنسيتين والتدخل النفسي".

مقدمة

خلفية عامة

يأتي هذا البحث كجزء من عمل القوس في الإنتاج المعرفي حول قضايا التعددية الجنسية والجنسيتين في المجتمع الفلسطيني، وبالتحديد في مجال الصحة النفسية والمجتمعية. من بين المجالات العدة التي تعمل فيها القوس، أخذت على عاتقها الشروع في إنتاج معرفة محلّية من صلب السياق الفلسطيني، ويشكّل هذا البحث قفزة نوعية في هذا المجال.

يتوافق إنتاج المعرفة هذا مع عمل مستمرّ في الميدان مع أشخاص يعيشون توجّهات جنسية وجنسيتين مختلفة، ومؤسسات مجتمع مدنيّ ومجموعات مختلفة من المهنيين والمهنيات. فعلى صعيد دعم أشخاص مثليين/ات وعبارات/ين وثنائيات/ي الميل الجنسيّ وغيره من التجارب المختلفة، تقدّم القوس خدمة خطّ الإصغاء والمعلومات¹ الذي يوفر مساحة لمشاركة تساؤلات والحصول على معلومات حول قضايا التعددية الجنسية والجنسانية منذ عقد من الزمن عبر الهاتف أو موقع إلكترونيّ مخصّص.

علاوة على هذا، نفعل مجموعات شبابية داعمة "أنا وجنسائتي والمجتمع؛ استكشاف، معرفة، تأثير"² كمدخل لفهم وتأطير التجارب الجنسية والجنسيتين المختلفة بتوجيه من مختصات/ين وخبراء في المجموعات، وتعدّد عدّة مرّات على مدار العام في مناطق مختلفة في فلسطين. يضاف إلى ذلك البدء بتنظيم ورشات دعم ومشاركة على الحيز الرقمي منذ هذا العام بعنوان "عن سؤال"³، تتناول قضايا ملحّة ويومية من حياة الأشخاص الذين يعيشون توجّهات جنسية وجنسيتين مختلفة.

أما على صعيد المهنيات/ين ومؤسسات المجتمع المدنيّ المختلفة، وبالتحديد في مجال الصحة النفسية والمجتمعية، فقد بدأت القوس منذ عام 2014 بتشكيل مجموعات مهنية من الأخصائيات/ين في فلسطين -وعلى وجه التحديد في مدينتيّ رام الله وحيفا- بغية توسيع دوائر معرفتهم في مواضيع التعددية الجنسية والجنسيتين، وكان من ثمرات هذه المجموعات عقد يوم دراسي⁴ في مدينة الناصرة حول الأبعاد الجنسية والجنسيتين في العلاج النفسي، وإصدار دليل "مدخل إلى قضايا التعددية الجنسية والجنسيتين للمهنيين في مجال الصحة النفسية والمجتمعية"⁵.

1 خطّ الإصغاء والمعلومات يعمل أيام الأحد والأربعاء، من الساعة الخامسة حتى التاسعة مساءً على الهاتف 0722220202 أو الموقع: www.alkhat.org

2 انظري في موقع القوس على سبيل المثال: "مجموعة شبابية حديثة في حيفا"

3 انظري في موقع القوس على سبيل المثال: "ورشة رقمية: عن سؤال التعامل مع أحداث العنف للتالية في الفترة الأخيرة".

4 انظري في موقع القوس: "يوم دراسي للقوس وربطة السيكولوجيتين".

5 انظري في موقع القوس: "القوس تُصدر "مدخل إلى قضايا التعددية الجنسية والجنسيتين للمهنيين في مجال الصحة النفسية والمجتمعية".

تعددت أوجه هذه التحدّيات، على صعيد انعدام الأدبيّات بشأن الموضوع فلسطينيّاً، والصعوبة الكبيرة في الوصول إلى العيّنة المناسبة (انظر/ي قسم المنهجية)، ومواجهة أسئلة منهجية وإستمولوجية مختلفة؛ إلا أنّ هذه التحدّيات جميعها -على الرغم من صعوبتها- أثبتت لنا أهميّة هذه الخطوة ومركزيتها في عملنا.

وفضلاً عن الصعوبات الخاصّة بسيرة العمل على البحث نفسه وموضوعه، عشنا خلال فترة العمل على البحث إحدى أكثر الفترات زخماً وكثافةً في حياة القوس، حيث عشنا لحظات مفصليّة وهامة تخصّ قضايا التعدّدية الجنسية والجندرية أدت إلى تحوّلات مجتمعية كبيرة في تعامل المجتمع الفلسطينيّ مع هذه القضايا، كان بعضها نقاشات مجتمعية واسعة حول الموضوع، وجزء آخر كبير للأسف -أحداث عنف وملاحقة وتضييق على القوس وناشطها على نحوٍ خاصّ.

استغرق العمل على البحث بالمجمل عامًا ونصف العام، ما بين تحضير وعصف ذهنيّ، وقراءة، ومحاولات جاهدة للوصول إلى العيّنة وغير ذلك من مراحل البحث الميدانيّ، فكانت بالمجمل تجربة مميّزة للقوس ولفريق العمل والباحثات يمكن التعلّم من سيرورتها نفسها بالقدر الذي يمكن التعلّم من مُخرجات البحث فيه.

لن هذا البحث؟

عمل على هذا البحث أشخاص مختصّون/ات في مجالات علم النفس المجتمعيّ والخدمة الاجتماعية والإرشاد النفسيّ، وينهل نظريًا من هذا المجال/ وبالتالي يشكّل عالم الصحة النفسية ومصطلحاته ومفاهيمه جزءًا أساسيًا منه، على اعتبار أنّ المهنيّات/ين في هذا المجال من معالجين واختصاصيّات ومرشدين تربويّين وأكاديميّات في علم النفس هنّ/هم الفئة الأساسيّة التي نحرص أن تصلها هذه المعرفة وتساعد في تعاملها معها. يبيد أنّ البحث مُتاح -نسبيًا- لكلّ المهتمّات/ين في قضايا التعدّدية الجنسيّة والجندرية أو الجنسانيّة والجندر في المجتمع الفلسطينيّ.

تهتمّ القوس بأن يصل هذا البحث إلى أبعد من فئة المختصّين في مجال علم النفس والصحة النفسية والمجتمعيّة، وبالدرجة الأولى أشخاص يعيشون توجّهات جنسيّة وجندرية مختلفة وعائلاتهم/م، بما أنّ البحث يتناول تجاربهم/م، وشرائح أخرى -كناشطين سياسيين واجتماعيين أو طلبة علوم اجتماعية أو عاملين في مؤسسات أهلية بصورة عامّة، وغيرها.

تحرص القوس على تعميم هذه المعرفة، وتهتمّ بانتشارها قدر الإمكان وتوسيع النقاش حول هذه القضايا المهمّة في المجتمع الفلسطينيّ، وبالتالي لدى الجميع دور في مشاركة وتعميم وإتاحة هذا البحث، كلّ من موقعه ودوره المجتمعيّ أو المهنيّ.

تركيز مصطلحات

الأولاد: نستخدم في هذا البحث لفظ "أولاد" للحديث عن الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسيّة وجندرية مختلفة وفق موقعهم في العائلة. تشير "أولاد" لغويًا -باتّفاق المعجم العربيّة- إلى كلّ مولود سواء أكان ذكرًا أم أنثى، أي البنين والبنات. قد تقتصر الكلمة -مجتمعيًا وشعبيًا- بجندر أو جنس محدّد (الذكور/البنين)، إلا أنّنا نستخدمها هنا استنادًا إلى معناها الأساسيّ في اللغة.

أشخاص يعيشون توجّهات /تجارب جنسيّة وجندرية مختلفة: نستخدم في البحث هذا التوصيف الذي يشمل المثليين والمثليّات، والعابرين جنسيًا وجندريًا، وثنائيات وثنائيّ الميل الجنسيّ (Bisexual)، ومتداخلات ومتداخلي الجنس البيولوجيّ (Intersex)، وجميع التجارب الأخرى التي تقع على الطيف الواسع من التنوّع والتعدّد. نستخدم هذا التوصيف لشموليّته ودقّته، حيث تخرجنا "تجارب" أو "توجّهات" من حصرية الإطار الهويّاتيّ، الذي قد لا يفضّله البعض لتوصيف تجاربه، كما تشير "مختلفة" إلى التنوّع والتعدّد في هذه التجارب، إضافة إلى الخروج من منظومة المهيمن جنسيًا وجندريًا في المجتمع.

الهويّة الجنسيّة: يردّ في البحث مصطلح الهويّة الجنسيّة الذي قد يرتبط عند كثيرين بالبول الجنسيّة فقط، إلا أنّنا نستخدمه بمفهومه الواسع الذي يشمل مركّبات عدّة هي: الهويّة الجندرية؛ التعبيرات الجندرية؛ الليول الجنسيّة؛ الجنس البيولوجيّ والمعاني التي تُعطى له؛ السلوك الجنسيّ.

أسئلة البحث

تشكّل العائلة في المجتمع الفلسطينيّ مبنى مركزيًا كما هو الحال في مجتمعات عدّة أخرى، وتؤثّر وتتأثّر بعيش شخص فيها لتجربة جنسيّة وجندرية مختلفة، وبالتحديد الأولاد بعلاقتهم/م مع الأهل. في هذا البحث، ندرس أنماط التفاعل والمسارات التي تخوضها العائلات التي تشكّل جزءًا من العيّنة حول عيش أحد أولادها هذه التجارب، وكيفية تأثير هذه الأنماط والمسارات على تجربة الأولاد وتجربة الأهل -على وجه التحديد الأمّهات- وتجربة العائلة كوحدة واحدة.

المنهجية

اخترنا في هذا البحث منهجية النظرية الجذرة (Grounded Theory)⁷ التي تنطلق من رواية مجتمع البحث اعترافًا بكونه مصدر الخبرة والعرفة، في حين تأتي الأدبيّات والتنظيرات المختلفة لمساعدة فهم

7 Charmaz, Kathy. 2000. Review of Grounded Theory: Objectivist and Constructivist Methods. In *Handbook of Qualitative Research*, edited by N. K. Denzin and Y. Lincoln, 509-35. London: Sage Publications, Inc.

المعرفة والمعطيات التي تخرج من الميدان لا العكس. وكانت الآلية التي اخترناها هي مقابلات شبه مفتوحة طرّح فيها السؤال عن الخطوط العريضة بغية الاستفسار عن مراحل معيّنة وضمان عدم إغفالها، في حين أتيح للمشاركين والمشاركات في البحث سرد الرواية الشخصية أو الأسريّة.

يعكس اختيارنا للنظرية المجدّرة توجّهنا الإيستمولوجي والنظري المتمثل في ضرورة الانطلاق من صلب تجارب المجموعات المختلفة دون إسقاط مصطلحات أو نظريات لا تسهم في فهم الواقع وتعيد إنتاج أنماط معرفيّة مهيمنة من خارج سياقنا. فقد كان هدف البحث الرئيسي هو الوصول إلى معرفة من صلب السياق والتجارب التي نعيشها، مع ملاءمة أجزاء من النماذج النظرية أو الأدبيات القائمة أصلاً، ابتغاء المراكمة عليها ومساعدتنا في اكتمال الصورة.

تشكّلت عيّنة البحث من ثلاث شرائح على النحو التالي، وهي:

● أشخاص يعيشون تجارب جنسيّة وجندريّة مختلفة تتجاوز أعمارهنّ/م الثامنة عشرة من مناطق مختلفة في فلسطين عددهنّ/م 17.

● أمهات أشخاص يعيشون توجّهات جنسيّة وجندريّة مختلفة من مناطق مختلفة في فلسطين⁹ عددهنّ 4.

● أخصائيو/ات نفسيّون/ات قدّموا أو يقدّمون خدمات دعم أو علاجاً لأشخاص يعيشون تجارب جنسيّة وجندريّة مختلفة أو لعائلاتهم/ن من مناطق فلسطينيّة مختلفة، وعددهم أربعة عشر (14)، وذلك لإضفاء مستوى إضافي وفهم أكثر عمقاً للمحاور التي طرحتها الفتتان السابقتان، ورصد ظهورها في التفاعلات التي وردت في المساحات العلاجيّة.

اعتمدنا في الوصول إلى العيّنة على وسيلة "كرة الثلج"؛ إذ لبعض الأشخاص من العيّنة علاقة ما بالقوس، أو علاقات مشتركة بأشخاص ساعدوا في الوصول إليهنّ/م. ففي حال الأمهات، على سبيل المثال، كان لا بدّ أن يكنّ متصالحات مع فكرة الحديث عن تجارب الأبناء الجنسيّة والجندريّة المختلفة مع باحثات/ين أكاديميات/ين؛ وذلك ليس بالأمر الهين واستغرق الأمر لفريق البحث أربعة أشهر للوصول لأفراد العيّنة، والذي يعود لعدّة أسباب مثل ضرورة الوصول إلى تصالّح كبير مع الموضوع ووجود قدرة نفسيّة وعاطفيّة للحديث عنه، والتخوّف من مشاركة تفاصيل عائليّة وشخصيّة أو تخوّفات تتعلّق

بالسريّة والخصوصيّة وغيرها⁹.

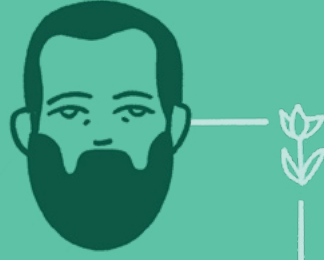
أما في ما يخصّ الشريحة الأولى (الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسيّة وجندريّة مختلفة)، وإن كان موضوع الوصول إليهنّ/م أقلّ صعوبة، فإنّه واجه صعوبات أخرى، مثل التخوّف أو الحذر من الحديث مع باحثات من نفس المنطقة أو الدوائر الاجتماعيّة، لما في الحديث من تفاصيل حسّاسة ما دفعنا لإجراء المقابلات من خلال باحثات من مناطق مختلفة لزيادة راحة المبحوثين/ات ودفعهنّ/م للمشاركة أكثر. فضلاً عن ذلك، بعض التجارب تحمل أجزاءً صعبة، وقاسية جدّاً في بعض الأحيان، وهو ما قد يؤدي إلى انتكاس بعض الأشخاص عند التذكّر أو سرد الرواية الشخصية، وذلك دفعنا لأن تكون الباحثات جزءاً من القوس ويعملن في مجالات العلاج والعمل الاجتماعيّ، وبذلك تحمل المقابلات طابع الأقران، وتكون على حسّاسيّة عالية مع المبحوثات/ين. إضافة إلى هذا، أبدينا الاستعداد لتقديم الدعم والمساعدة بعد المقابلات في حالة تسبّب الحديث ومشاركة التجارب في أيّ تراجع أو تأثير على الأشخاص في الوقت الحاليّ.

وفي حال الأخصائيات/ين، كان لا بدّ من التأكّد أنّهنّ/م قدّموا أو يقدّمون خدمات لعائلات أو لأفراد تطرّفوا لمواضيع التعدّديّة الجنسيّة والجندريّة، كما ظهرت محدوديّة مع أخصائيات/ين اللواتي/الذين وصلنا لهنّ/م تتمثّل بصعوبة مشاركة موضوعات خصوصيّة في العلاقة العلاجيّة، أو الامتناع عن تقديم تفاصيل حول الأشخاص وتجاربهنّ/م، خشية من معرفة هويّتهنّ/م لتقاطع الدوائر الاجتماعيّة، وهو ما حدّ من الوصول إلى مشاركات عميقة وتفصيليّة.

نعيّ تماماً للمحدوديّة في الوصول إلى عيّنة بحث أوسع¹⁰ قد تكون متنوّعة أكثر أو ذات تجارب مختلفة أكثر، وبالتالي محدوديّة الاستنتاجات ومخرجات هذا البحث؛ إلّا أنّنا في المقابل ندرك الأهميّة الكبيرة للمعرفة والفهم الذي تقدّمه لنا وإمكانية استخدامه في فهم تجارب أخرى والتعامل معها، ولعلّه يكون فاتحة لأبحاث وإنتاجات معرفيّة أخرى تتطرّق إلى موضوع العائلة وقضايا التعدّديّة الجنسيّة والجندريّة، خطوة أولى لحثّ النقاش المعرفيّ والأكاديميّ في هذا الموضوع.

9 وليس أدلّ على الصعوبة في الوصول إلى أشخاص من مجتمع البحث من غياب الآباء تماماً عن العيّنة، وهو الأمر الذي نقرأه نظريّاً وسياسيّاً كما نقرأ سائر القضايا في هذا البحث، ألا وهو بنية التسلّط والبروز التي نعيش فيها؛ حيث يتماهى الشخص القهّور (وهو الأب هنا) -وفق منطق مصطفى حجازي- مع أحكام التسلّط أولاً، ومن ثمّ تمثّل عدوانيّة التسلّط من خلال تسلّطه على من هم أضعف منه، وهم غالباً -في سياق العائلة- زوجته وأولاده، لعلّها تعيد إليه شيئاً من اعتبارها الذاتيّ للفقود. تطوّق قوى القمع للمتمثّلة بأنظمة الحكم أو الاستعمار طاقة الرجل وتقوّض جسده بقوة، وبالتالي يغدو مضمار سيطرته عائلته وأولاده، ويعيد إنتاج العنف المأزس عليه من الخارج داخل عائلته. تكون المرأة الموضوع الأساسيّ لهذا العنف في العناد، ويتحوّل كيانها الإنسانيّ إلى موضوع شرّ وخبث ومكر، أو إلى موضوع أشظرة وصخبنة (صحيّة مطلقة) وعطاء، وبدورها تستدخل الأمّ هذه الصورة وهذا الدور وتعيد إنتاجه، وتجد قيمة لها في أن تنكّس لأولادها وأن تحبّ وتتقبل وتسامح بلا حدود، في حين تكون هذه آليّتها لامتلاك أولادها أو فرض سيطرة غير مباشرة عليهم/ن. ذلك يُعطى دور الفتاة دائماً، وهو ما جعل الأمهات -بقراءتنا- هنّ للتجاوبات مع فكرة للمشاركة في مقابلات هذا البحث. سنمّر خلال صفحات البحث على سيكولوجيّة الإنسان القهّور فيشكل أكثر توسّعاً.

10 على صعيد عمل مؤسسة القوس، تظهر هذه الصعوبات في معظم جوانب العمل، لا في هذا البحث فحسب؛ وذلك نتيجة للقمع المجتمعيّ والسياسيّ الذي يصعب ظهور الأشخاص أو وصولهنّ/م لمساحات القوس وغيرها.



الفصل الأوّل:
خلفيّة نظريّة- أنماط التفاعل
في العائلات العربيّة والفلسطينيّة



الفصل الأول:

خلفية نظرية - أنماط التفاعل

في العائلات العربية والفلسطينية¹¹

يتضمن الفصل التالي عرضاً نظرياً يوضح أهمية التفاعلات الأسرية والحاجة إلى فهم أنماطها، وكذلك يتطرق إلى أثرها على حياة الأبناء عموماً، وعلى احتياجاتهم/نّ العاطفية، وتحديدًا في حالة تحدّي هُويّاتيّ - اجتماعي كالدّيّ تحمله تجربة الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة.

تحدثت أدبيات كثيرة في علم النفس عن الأهمية القصوى لدور تفاعلات الأهل في حياة الأطفال والأولاد عموماً وفي تشكيلهم لمفهوم "الذات"¹² و "لشعورهم/نّ بذواتهم/نّ" على وجه الخصوص. فمنذ التفاعلات الأولية التي وصفت ميلاني كلاين أهميّة عامل "الانعكاس" ("Mirroring") فيها على تطوّر الطفل، وقصدت تشكّل الانطباعات لديه عن البيئة والمواقف المختلفة، وحتى عن مشاعره/ا من خلال ما يعكسه وجه أمه/ا أو وجه الشخصية الحاضرة¹³، مروراً بعامل "الأمّ (البيئة) الجيدة بما فيه الكفاية" ("Good enough mother")¹⁴ الذي تحدّث عنه وبنيكوت كميّار لمدي إتاحة العائلة لتحقيق وتطوير احتياجات الطفل وتأثيرها على تفاعلاته ومهاراته لاحقاً، انتقالاً إلى عامل قيمة "الذات"¹⁵ الذي يُستقى كما وصف كوهوت من نوعيّة التفاعلات الأولية للعائلة مع الطفل.

وفي حين قد تتنوّع وتختلف فيه آليات التفاعل هذه مع تقدّم الطفل في العمر وباختلاف الثقافات، الأمر الذي سلّط الضوء عليه في العقود الأخيرة في "علم النفس الثقافي"¹⁶ أو ما يُعرف كذلك باسم هو "علم النفس ذو الحساسيّة الثقافية"، فإنّ أهميّة هذه التفاعلات في حياة الأبناء (رُضّعاً أو بالغين) كبيرة، وتحديدًا في سياقات تحمّل التحدّيات في فهم الذات وفهم العلاقة مع المجتمع، لهؤلاء الأبناء. في محاولة لتسليط الضوء على مميّزات وأنماط التفاعل في العائلات العربية عموماً والفلسطينية على وجه الخصوص، نتطرق في ما يلي إلى عرض نظريّ مُقتضب لظهورها في الأدبيات البحثية والدراسات الاجتماعية العربية. وبهّمنا عملياً أن نوضّح أنّه لا وجود لشكل واحد ووحيد لتركيبة العائلة العربية، بل هو تركيب مرتبط بعدّة محاور وظروف مبيّنة في ما يلي.

مميّزات وخصائص أنماط التفاعل في العائلة العربية والفلسطينية

يقسم منظّرون مختلفون نماذج العائلات العربية بحسب معايير ومنظورات عدّة، منها الحجم (وجود أولاد؛ عدد الأولاد)، أو التحوّل التاريخي (من التقليد إلى الحداثة؛ من نمط العائلة الممتدّة إلى النووية)، أو من حيث التركيبة الاجتماعية (أحادية الوالدة؛ ذات والدّين؛ أسرة ناتجة عن زيجات متكرّرة...)، أو من حيث الطرف الاقتصاديّ وتوجّه أفرادها إلى العمل¹⁷.

وتطرح الأدبيات المتعلّقة بالعائلة أساليب "التنشئة الاجتماعية" كميّار آخر لتصنيف العائلات؛ فقد تكتفي دراسات لطرح ثلاثة أنماط من التنشئة الاجتماعية وهي: الوالدية الضابطة والموثوقة Authoritative parenting التي تتيح تطوّر الفرد، لكنّها ذات صلاحية لضبطه، الوالدية المتساهلة أو التسامحة Permissive parenting والتي تتساهل مع توجّهات الفرد، الوالدية للتسلّط أو الاستبدادية Authoritarian parenting والمؤمنة بوجود إخضاع الفرد¹⁸.

في حين تتوسّع أبحاث أخرى في طرح عدّة أنماط فرعية قد وصلت إلى ثمانية أنماط من التنشئة الاجتماعية على الصعيد الفلسطيني كما طرحها الباحث محمد عكّة، وهي كالتالي: أسلوب التسلّط؛ أسلوب التذنب؛ أسلوب السواء؛ أسلوب الأمل النفسي. ويقترح الباحث إمكانيّة إجمال هذه الأساليب تحت أسلوبين اثنين بالعموم: الأوّل هو الأسلوب الإيجابي الذي يتضمّن الأساليب التي تتيح التعامل مع الطفل ككائن فاعل، وتحترم آراءه وأفكاره وتساعد على تطويرها وتطويره نحو الاستقلالية، في حين يُبقي مكاناً لقرار مشترك في الأسرة دون أن تقود أهواء الطفل العائلة. أمّا الثاني، فهو الأسلوب السلبيّ والذي يتضمّن أساليب الاستبداد والتسلّط القائمة على القمع والقسوة وقتل روح المبادرة وإمكانيّة الاستقلالية وتحقيق الذات لدى الطفل¹⁹. كذلك يمكن اعتبار عامل "التنشئة الاجتماعية" كتنتاج لتوليفات السابقة والتفاعلات الوارد ذكرها لاحقاً في الفقرات التالية.

وتوضّح بعض الأدبيات أنّ صنوف وأساليب التنشئة الاجتماعية هذه مُرتبطة بما يُسمّى "السلطة الوالدية" والتي جرى تعريفها بأنّها "وعيّة أو ماهيّة الأساليب التي يمارس في ضوءها أو من خلالها الوالدون (الآباء والأمّهات) أدوارهم الأبوية والأمومية مع أولادهم/م في مساهم لتطبيعهم وتنشئتهم اجتماعياً وفق ما تعارف عليه المجتمع من قيم وعادات ومفاهيم للسلوك"²⁰. في المقابل، أضاف تعريف لاحق أنّها تعتبر "القوى التي تتحكّم في سلوك الفرد منذ ولادته من حيث النع أو المنح أو الثواب أو

11 نعيّ تماماً أنّ مبنى العائلة في العالم، ومن ضمنه فلسطين، في تغيّر مستمرّ من حيث الشكل والعلاقات والعبارة.

12 Constantine Sedikides, and Steven Spencer. 2007. *The Self*. New York; Psychology Press.

13 Pines, Malcolm. 1985. "Mirroring and Child Development." *Psychoanalytic Inquiry* 5 (2): 211-31. <https://doi.org/10.108007351698509533585/>

14 Winnicott, Donald W. 1968. *The Child, the Family and the Outside World*. Harmondsworth, Middlesex; Penguin Books.

15 Kohut, Heinz. 1971. *The Analysis of the Self*. New York; International Universities Press

16 Heine, Steven J. 2012. *Cultural Psychology*. New York; W.W. Norton.

17 سليمة. 2014. "التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وانعكاساتها على السلطة الوالدية كما يدركها الأبناء في الأسرة الجزائرية". أطروحة] كتيبة العلوم النفسية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

<http://thesis.univ-biskra.dz/id/eprint/1188>

18 المصدر نفسه.

19 عكّة، محمد إبراهيم. 2013. أساليب التنشئة الاجتماعية لدى الأسرة الفلسطينية في مدينة القدس. مجلّة البحوث والدراسات الإنسانية الفلسطينية. ص 245-280.

20 قشوقس، إبراهيم. 1982. سيكولوجية المراهقة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ص 125.

التفاعل مع قضايا الجنسانية في واقع القهر

تتجه الكتابات النقدية التي تتعامل مع الجنسانية، سواء أكان ذلك في علم النفس أم في غيره من المجالات المعرفية، إلى فهمها (فهم الجنسانية) في السياق السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي هي فيه؛ أي إنه لا يمكن فهمها بمعزل عن البنى السياسية وعلاقات الإنتاج وآليات القمع والسيطرة المختلفة على المجتمع. تبرز هذه التوجهات ابتداءً من أدبيات معروفة متخصصة في الجنسانية، على نحو ما نجد في جدال آن ستولر النظري مع ميشيل فوكو حول إخفاق الأخير بربط الشأن الجنسي بالاستعمار وتشكله في المستعمرات (المصادر الكولونيالية للحدثة)²³، حتى كتابات محلية من الشعوب الأصلية والمستعمرة التي تدرس وتفهم الجنسانية في سياقها الاستعماري.

حاولت بعض الأدبيات -فلسطينياً- دراسة الجنسانية في سياق الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي، إلا أنّ أغلبها ركّز على الجندر ووضع النساء²⁴ والسياسات الجنسية في سياق مقاومة الاستعمار²⁵؛ أبرزها في السنوات الأخيرة كان كتابات كل من نادرة شلهوب - كيفوركين وسهاد ضاهر - ناشف، اللتين ركّزتا على تشكيل مباني الجنسانية والاستعمار بعضها لبعض، وأثر ذلك في خلق النظام الاجتماعي بما فيه من أدوار ومسؤوليات وعلاقات²⁶.

أما قضايا التعددية الجنسية والجندرية، فكان لها نصيب أقل من الكتابة الأكاديمية النقدية في هذا الصدد، وحاولت القوس في عقدي عملها التركيز على هذا الموضوع وإنتاج المعرفة حوله، انطلاقاً من أثر وتشكيل البنية الاستعمارية لهذه القضايا، وفي سياق بحثنا لقضية تفاعل العائلات الفلسطينية مع عيش أولادها تجارب جنسية وجندرية مختلفة²⁷.

العقاب، وتبدو أهّيتها في تكوين صورة عامّة عن السلطة فيما بعد، باعتبار الأسرة أول بيئة تتولّى إعداد الفرد وتنشئته²¹.

إنّ ما يتبدّى من أهّية السلطة والمجتمع والعائلة في التعريفين السابقين هو العلاقة الثنائية الاتجاه بين المجتمع والعائلة؛ بحيث تُنقل سلطة المجتمع إلى داخل نفوس الأطفال ويُنشئون بحسبها من خلال العائلة (الوالدين)، في حين يُعطي المجتمع الشرعية لسلطة الوالدين في قيادة وإدارة شؤون الأبناء والحكم فيها.

أما على صعيد الصحة النفسية لدى العائلة العربية، فيُقدّم حجازي دراسة²² يشير من خلالها إلى أنّ أهّية العائلة تكمن في كونها في المجتمعات العربية تُشكّل نواة شبكة المؤسسات النازمة لحياة إنسانا والمؤطرة لأنشطته. وبمقدار صحّتها النفسية واقتدارها وتمكّنها ستتمكّن من تنشئة أجيال معافاة وتمكّنة وفاعلة اجتماعياً وحياتياً.

يعرض المفهوم الواسع للصحة النفسية للعائلة، كمفهوم يظهر في عدّة أوجه، منها: (1) التماسك العائلي بين الأفراد الذي يوفّر الدعم والمساندة؛ (2) الوظيفي: وضوح في دور الأفراد، وقدرتهم على الأداء، ودور العائلة مجتمعة في التغلّب على التحديات؛ (3) انتمائي: يتركّز في الأساس بعلاقة العائلة بالمجتمع، أي مدى قبولها ومشاركتها في المجتمع؛ (4) نمائي: التطور والنمو في الموارد والمؤهلات.

ويفيد أنّ تحقيق صحة نفسية عالية للأسرة يكمن في قدرتها على التفاعل مع بيئتها بحيث تُوازن بين الانفتاح، وتبني الصالح من المجتمع، والانغلاق، والحماية ضدّ المؤثرات السلبية، التي تضرّ بأي من الوجوه الأربعة لصحتها: أدائها التنبؤي أو الوظيفي الانتمائي أو النمائي.

يظهر، في غالب الأحيان، تفاعل بين وجوه الصحة النفسية المختلفة وأنّ أحدها يؤثّر حتّى على الآخر: فمثلاً مقومات التماسك الأسري قد تتأثر بالمقوم الوظيفي كوضوح في الأدوار في الأسرة. وقد تشمل مقومات التماسك هذه: "الحسّ بالمسؤولية، التكافؤ في السنّ والتعليم، التوافق على الأدوار، التوافق على السياسات والتطلّعات، النضج النفسي (الإيجابية في حلّ المشاكل)، النضج العائلي، مهارات الإدارة، المقوم الاقتصادي ومحيط اجتماعي معافى".

مُعظم المكونات السابق ذكرها، كالنضج النفسي والعائلي ومهارة الإدارة والمتعلّقة بالقدرة على الأداء، إضافة إلى المقوم الاقتصادي والمحيط الاجتماعي، هي كلّها -مجموعاً وكلاً على حدة- تتأثر بالسياق المجتمعي: التاريخي والسياسي للمجتمع. ويضعنا هذا أمام الحاجة إلى النظر وفهم أنماط التفاعل في العائلة الفلسطينية، في ظلّ فهم الإسقاطات النفسية للسياق الاستعماري مجتمعيّاً، وعلى مستوى العلاقات العائلية والحاجة إلى أخذها بعين الاعتبار في هذا البحث.

23 Ann Laura Stoler. 1995. *Race and the Education of Desire: Foucault's History of Sexuality and the Colonial Order of Things*. Durham: Duke University Press.

24 انظري على سبيل المثال

Hasan, Manar. 2002. "The Politics of Honor: Patriarchy, the State and the Murder of Women in the Name of Family Honor." *Journal of Israeli History* 21 (1-2): 1-37.

<https://doi.org/10.1080/13531040212331295842/>.

Shalhoub-Kervorkian, Nadera, and Suhad Daher-Nashif. 2013. "Femicide and Colonization." *Violence Against Women*. 19 (3): 295-315.

<https://doi.org/10.1177/1077801213485548/>.

25 Lena Meari. 2015. "Re-Signifying 'Sexual' Colonial Power Techniques: The Experiences of Palestinian Women Political Prisoners." In *Rethinking Gender in Revolutions and Resistance: Lessons from the Arab World*, edited by Maha El Said, Lena Meari and Nicola Pratt. London: Zed Books Ltd.

26 Shalhoub-Kervorkian, Nadera, and Suhad Daher-Nashif. 2012. "The Politics of Killing Women in Colonized Contexts". *Jadaliyya*. Retrieved from:

<https://www.jadaliyya.com/Details/27636/The-Politics-of-Killing-Women-in-Colonized-Contexts>

27 انظري على سبيل المثال: للدراسة الأكاديمية للقوس "السياسات الجنسية ضمن السياق الاستعماري في فلسطين" في العنف، ومن الأثر إلى الأمل. أو: مقال غيث هلال وحين معيني "إعادة بناء صورة اللثي في المجتمع الفلسطيني" على موقع القوس.

21 إبراهيم، زينب. 1993. صورة السلطة الوالدية لدى المراهقين. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس. ص 104.

22 حجازي، مصطفى. 2015. الأسرة وصحتها النفسية - للمقومات، الديناميات، العمليات. بيروت: المركز الثقافي العربي.

ضمن موضوع بحثنا، نتجّه دراسات عديدة مؤخرًا²⁸، تندرج في إطار "الحساسيّة الثقافية"، لفهم ديناميكيات وأنماط التفاعل الأسريّة بشأن موضوع التعدديّة الجنسيّة والجندريّة عند وجود شخص يعيش تجارب جنسيّة وجندريّة مختلفة في العائلة، في سياق الأقليات العرقية والثقافية. فعلى سبيل المثال، يتّضح في بعضها وجود فُرُق في كُّل من التفاعل والتقبّل بين العائلات التي من أقلّيّة عرقية من جهة، والعائلات التي من مجموعات عرقية مُسيطرّة من جهة أخرى، بينما يُعزى هذا الفرق -على نحوٍ أساسيٍّ- إلى ما يُسمّى "السلبيّة المثلّيّة" ("Homonegativity")، ويُقصد بها وجود رسائل مجتمعيّة (في صفوف المُجتمع أو الأقلّيّة) تَبْتُّ رَفْضًا للمثليّة الجنسيّة أو خوفًا منها، وتُصعّب على العائلات من الأقليات تقبُّل موضوع التجارب الجنسيّة والجندريّة المختلفة لأولادها²⁹. لكن لا يجري الخوض في فهم معقّد للأسباب الكامنة خلف هذه المواقف المجتمعيّة السلبيّة تجاه التعدديّة الجنسيّة والجندريّة، وإن كان هنالك أصلًا تعميم في هذه المجتمعات لعدم تقبُّل التعدديّة في سياقات أخرى مختلفة، كنتاج لمسار نموّها.

وقد يبدو توجّه بعض المجتمعات لانعدام التقبُّل المُعمّم هذا مألوفًا، ولا سيّما في المجتمعات التي عانت طويلًا وتُعاني من القهر السياسي والاستعماري، والتي تعدّد توصيفها والحديث عنها في الأدبيّات النقديّة والجندريّة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يسمّيهم فرانز فانون "العذّبين في الأرض"³⁰ انطلاقًا من تجربة الجزائريّين تحت الاستعمار الفرنسي، ويسمّيهم بوللو فريري "القهورين"³¹ انطلاقًا من تجربة الفلاحين في البرازيل، أو "الإنسان القهور"³² وفقًا لمصطفى حجازي في تناوله للمجتمع اللبناني والمجتمعات العربيّة عاقبة.

وتصفّ هذه الأدبيّات تشكّل خصائص نفسيّة لدى المجتمعات التي تعاني هذا القهر المُمتدّد، بحيث يأتي تشكّل واستحضار هذه الخصائص كمحاولة دفاعيّة للإنسان فيها مُقابل حالة الإحساس بالعار من العجز شبه التامّ أمام عامل القهر (كالاستعمار -على سبيل المثال). وتُعتبر ظاهرة الغلالة في التمشكّ بالمظاهر وبقشور الطقوس وإبرازها، وإن أتت على حساب التطوّر الجوهري، من الخصائص التي تشكّل لدى المجتمعات القهورة، والتي تتضمّن تشويرها وتحويلها للرسائل والأعراف المجتمعيّة، التي

تكوّنت في سياق سيادة وسيطرة المجتمعات على ظرفها، إلى أخرى أقلّ تقبُّلاً وأكثر اضطهادًا وعداءً تجاه أبناء الجلدة والفتات المستضعفة كالنساء والأطفال والفقراء وأصحاب تجارب جنسيّة وجندريّة مختلفة، وتظهر أنماط بارزة من القمع في داخل الأسرة والمجتمع مُعزّزة للعنف الجندري، وذلك كنوع من استرداد السيطرة المفقودة أمام استبعاد المنظومة والاستعمار.

إنّ آليّة استرداد السيطرة هذه التي تعتمد "النقل" ("Displacement") آليّة للتعامل مع الغضب أو العجز أو مشاعر أخرى غير مرغوبة لدى الأفراد، كما جاءت في علم النفس الكلاسيكيّ على لسان فرويد ومن ثمّ ميلاني كلاين³³، وردت في الأدبيّات النقديّة كآليّة مجتمعيّة للتخلّص من العجز وتصريف الغضب المستبطن بفعل القمع والعجز المستمرّين.

وبما أنّ المجتمع الفلسطينيّ يزرح تحت وطأة القهر الاستعماريّ الصهيونيّ، فالآليات وأنماط تفاعله مع قضايا التعدديّة الجنسيّة والجندريّة تأتي انعكاسًا لسياق القهر هذا، مع التأكيد على أنّ القيم والأعراف والمنظومة الاجتماعيّة السابقة للاستعمار -إن صحت تسميتها كذلك- ليست مثاليّة، ولا شكّ أنّها تنطوي على إمكانيّات كبيرة من ممارسة العنف والقمع المجتمعيّ، إلّا أنّ سياق القهر الاستعماريّ يشكّلها ويعيد إنتاجها ويوجّهها داخليًا، وكذلك يحدّد من قدرة المجتمع المستعمر على التغيير -وهو أمر لا يمكن التغاضي عنه عند دراسة تفاعل العائلة الفلسطينية مع قضايا التعدديّة الجنسيّة والجندريّة.

28 من تلك الدراسات، على سبيل المثال

Roe, Stuart. 2016. "Family Support Would Have Been Like Amazing: LGBTQ Youth Experiences With Parental and Family Support." *The Family Journal* 25 (1): 55-62. <https://doi.org/10.1177/1066480716679651/>

Richter, Brian E J, Kristin M Lindahl, and Neena M Malik. 2017. "Examining Ethnic Differences in Parental Rejection of LGB Youth Sexual Identity." *Journal of Family Psychology: J Fam Psychol* 31 (2): 244-49. <https://doi.apa.org/doiLanding?doi=10.10372%Ffam0000235>

29 Richter, Brian EJ, Kristin M. Lindahl, and Neena M. Malik. 2017. "Examining ethnic differences in parental rejection of LGB youth sexual identity." *Journal of Family Psychology* 31 (2): 244. <https://doi.apa.org/doiLanding?doi=10.10372%Ffam000023>

30 Frantz Fanon. 1968. *The Wretched of the Earth*. Pref. by Jean-Paul Sartre. New York, Grove Press.

31 Freire, Paulo. 1970. *Pedagogy of the Oppressed*. Translated by Myra Bergman Ramos. New York: Seabury Press.

32 حجازي، مصطفى. 1985. *التخلّف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجيّة الإنسان القهور*. بيروت: المركز الثقافي العربيّ.

Fenichel, Otto. 2006. *The Psychoanalytic Theory Of Neurosis*. Routledge.

<https://doi.org/10.4324/9780203981580/>

Baumeister, Roy F., Karen Dale, and Kristin L. Sommer. 1998. "Freudian Defense Mechanisms and Empirical Findings in Modern Social Psychology: Reaction Formation, Projection, Displacement, Undoing, Isolation, Sublimation, and Denial." *Journal of Personality* 66 (6): 1081-1124.

<https://doi.org/10.1111/6494.00043-1467/>

الفصل الثاني:

سيرورات داخلية وخارجية:
أنماط تفاعل أشخاص يعيشون
توجّهات جنسية وجندرية
مع تجاربهم/م



الفصل الثاني:

سيرورات داخلية وخارجية:

أنماط تفاعل أشخاص يعيشون

توجهات جنسية وجندرية مع تجاربهم/م

عرضت أدبيات بحثية سابقة حول العالم نماذج تشرح مسار تفاعل الأفراد مع تجاربهم/ن الجنسية والجندرية، وكان منها نموذج "تطور الهوية المثلية الفردية والجمعية"³⁴، ونموذج كاس لتشكل الهوية الجنسية³⁵ اللذين نجد بينهما وبين المسار الذي وصّحته نتائج البحث الحالي لتفاعل الأفراد شهرًا كبيرًا. فقد تشابهت المراحل والملاحظات في بحثنا في الأساس مع ما طرحه نموذج "كاس"، بينما تشابه في المجال المجتمعي على وجه التحديد في مكانة الجماعات التي تعيش تجارب جنسية وجندرية مختلفة في سيرورة تطور هوية الفرد، مع نموذج "تطور الهوية المثلية الفردية والجمعية".

تحمل تجارب الأفراد التي قمنا برصدها تقاطعًا بين النموذجين، وقد كانت هناك محطات وتكررت ومكثتنا من بناء وتشكيل تصوّر محليّ لسيرورة اكتشاف واستكشاف وتصالح مع مشاعر أو رغبات جنسية و/أو جندرية. وتشمل السيرورة محطات معيّنة، رافقت كلّ محطة منها مشاعر وتحديات وخيبات ومصادر الدعم الممكنة.

تتفق أدبيات من تلك المهتمّة بموضوع التعدّدية الجنسية والجندرية والمسارات التي يخوضها أفراد يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة من أجل تحقيق ذواتهم/ن، مع ما أفاده الأشخاص المشاركون في البحث عن هذه الفئة، وتؤكد على كون خطوة مُصاحرة الأهل والعائلة كإحدى أصعب الخطوات أو العالم الرئيسية وأهمّها في مخاض تحقيق الذات هذا³⁶. وقد أفادت هذه الدراسات أنّه على الرغم من القلق والخوف الشديدين اللذين يواجههما الأشخاص إزاء إبلاغ عائلاتهم/ن، شرّع عدد متزايد منهم/ن يفضّح عن تجربته الشخصية ويخبر عائلته بالأمر³⁷.

34 McCarn, Susan R., and Ruth E. Fassinger. 1996. "Revising Sexual Minority Identity Formation." *The Counseling Psychologist* 24 (3): 508-34. <https://doi.org/10.1177/0011000096243011/>.

35 Cass, Vivienne C. 1979. "Homosexual Identity Formation: A Theoretical Model" *Journal of Homosexuality* 4 (3): 219-35. https://doi.org/10.1300/j082v04n03_01

36 Willoughby, Brian L. B., Neena M. Malik, and Kristin M. Lindahl. 2006. "Parental Reactions to Their Sons' Sexual Orientation Disclosures: The Roles of Family Cohesion, Adaptability, and Parenting Style." *Psychology of Men & Masculinity* 7 (1): 14-26. <https://doi.org/10.103792220.7.1.14-1524/>.

37 Savin-Williams, Ritch C., and Lisa M. Diamond. 2000. Sexual Identity Trajectories Among Sexual-Minority Youths: Gender Comparisons. *Archives of Sexual Behavior* 29 (6): 607-27. <https://doi.org/10.1023/a:1002058505138>.

إنّ المعطين المذكورين أعلاه قد دفعنا في بحثنا هذا إلى محاولة فهم المسارات التي يخوضها الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة في المجتمع الفلسطيني، ولفهم مسارات تفاعلهم/ن مع العائلة كجزء من فهمنا لأنماط تفاعل العائلة الفلسطينية مع الموضوع ككلّ.

نتناول في هذا الفصل تحليلاً للتجارب التي رصدناها، ونتائج المقابلات التي أُجريت مع أشخاص فلسطينيين/ات يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة، في محاولة لفهم المسار النفسي والنفسيّ _ المجتمعيّ الذي يؤثر في أنماط التفاعل المختلفة لدى هؤلاء الأشخاص. قسّمنا المسارات التي يمرّ بها الأشخاص إلى مستويين: المستوى الأوّل هو الذاتيّ الداخليّ الذي يتكوّن من ثلاث محطات هي الإنكار والإدراك والتصالح. المستوى الثاني هو الخارجيّ مع العائلة.

المستوى الأوّل: اكتشاف الهوية الجنسية ومسار التعامل الذاتيّ

قال غالبية المشاركين/ات في هذه العيّنة من البحث إنهم/ن قد مرّوا بمسارات داخلية متعاقبة منذ اللحظة الأولى لمصادفتهم/ن لهويتهم/ن الجنسية والجندرية أو ما يُشير إليها وحتىّ التصالح مع هذه الهوية. هذه كلّها كانت مسارات ذاتية _ شخصية لكنّها بالطبع قد تأثرت بعوامل خارجية أساسها العائلة والمجتمع.

عند أول مصادفة لغالبية الأشخاص مع تجاربهم/م الجنسية والجندرية المختلفة، وتحديدًا بعد فهمهم لطبيعة اختلافهم هذا وتداعياته، كانوا قد أدركوا معاني مشاعرهم/ن. وجزء ليس بالقليل منهم/ن قد أفاد أنّ هذه المصادفة لم تكن بالضرورة لحظية، بل منذ الطفولة ولفترة من الزمن، وغالبًا من مرحلة سنّ الطفولة المبكرة (4-8 سنوات) حتىّ مرحلة المراهقة، كانوا مختلفين بشكل ظاهر للبيئة من ناحية المظهر أو لغة الجسد أو الهوايات والألعاب المفضّلة التي لا تتوافق مع الدور الاجتماعيّ المتوقع لهم/ن. شعر البعض بانجذاب أو بإعجاب ما تجاه شخص من نفس جنسه/ا، وقد أخبر البيئة أو الأهل بالأمر "بسداجة" ودون فهم تداعيات ومعاني هذه المشاعر اجتماعيًا.

في مرحلة سنّ الطفولة المبكرة، فُوبل هذا الاختلاف في السلوك بالقبول وجرى التعامل معه على أنّه شأن اعتياديّ، ولكن في المراهقة والاتّجاه نحو البلوغ احتدّت ردود فعل البيئة، ردود فعل الأهل والعائلة، وبخاصّة عند دخول الشخص لأطر تربوية ومصادفة الأقران. ردود الفعل هذه قد أشارت للشخص بأنّ اختلافه هو أمرٌ خاطئ أو فيه خللٌ وأنّه غير مقبول. معنى ذلك، بحسب المشاركين/ات، أنّ تجارب القمع والرفض هذه من قِبَل البيئة والأسرة قد علّمت الشخص للعايير الاجتماعية للسلوكيات المقبولة والسلوكيات المحظورة، أي قوانين ومعايير الأدوار الاجتماعية (الجندر).

على الرغم من تعلّم القواعد الاجتماعية هذه، بقيت السلوكيات والانجذابات غير مفهومة بالنسبة للشخص في هذه الفترة، ولم تكن بحوزته المعرفة (اصطلاحًا أو معلومةً) أو المفاهيم لتُسعفه في التكلّم عن تجربته/ا أو فهمها، وقد مرّ الأشخاص الذين في العيّنة في ثلاث محطات متداخلة لا بشكل خطّي،

الإدراك أو الوضوح بمكونات الهوية الجنسية إلى مسارّين مختلفين لكن مرتبطين، هما رفض هذا الواقع أو تقبله، وظهرها على نحو متوازٍ ومتتابعٍ ومتغيّر.

الانتقال إلى مرحلة الوضوح والفهم، كما أشار المشاركون، جاءت بعد مصادفة مع الميول المثلية أو الحاجة إلى التعبير عن الهوية الجندرية (من خلال مسارات عبور قد تكون شخصية داخلية أو في أحيان أخرى طبيّة جسمانية)، والتي سلّطت الضوء حول رغبات ومشاعر لم تكن مفهومة من قبل، ومنها ابتدأت سيرورة إيجاد الكلمات والمصطلحات، وصولاً إلى الإدراك واكتساب الفهم بشأن ماهية هذه التجربة وطبيعة الاختلاف فيها، ورافقتها -في كثير من الأحيان- صعوبات وأزمات نفسية سنعرّج عليها في محطة التصالح مرّة أخرى.

لدى بعض من في العيّنة، تجلّت هذه التجربة بمجرّد الوصول إلى مرحلة سنّ المراهقة وبروز الاختلاف في الاهتمامات وفي التوجّهات بينهم/نّ وبين الأقران في المدرسة. بينما معظم من في هذه المجموعة أتى هذا الانتقال لديهم من خلال تطوّر مشاعر حبّ تجاه شخص في المدرسة، أو في الجامعة، أو في التلفزيون. كذلك كان أحياناً الفشل في علاقات الحبّ هذه تحفيزاً لهذا الإدراك، فعند الحاجة في التعامل مع الفراق تكون ثقة حاجة إلى الاعتراف بمشاعر الحبّ والتعبير عنها.

وذكرت بعض التجارب أنّ هذا الإدراك قد جاء من خلال مُصارحة مقرّبين من الشخص له/ا بأنّهم يشعرون بأنّه مثلي/ة. لكن بحسب إحدى التجارب الأخرى، ظهرت رغبة داخلية بالتبرّج لدى المشاركة عندما حُظرت عليه، وهو ما جعلها تُدرك أهمّيّته بالنسبة لها وأنّ هذه الرغبة نبعث من شيء "جوهريّ" وداخليّ" فيها، وقد قرّرت بعدها أن تبدأ في اتّخاذ علاج هورمونيّ ومسار طبيّ لإحلال تغييرات جسمانية. وقد أشار بعض الأشخاص إلى الخروج من بيئة المدرسة العنيفة، أو حتّى الابتعاد عن بيئة البيت للاتحاق بالتعليم الجامعي أو السكن خارج منزل العائلة، باعتباره الحدث الذي جلب أوّل مصادفة مع أشخاص شبيهين، ومع الفرصة لاستكشاف هويّتهم/نّ الجنسية والجندرية بعيداً عن ضغوط الأهل وبيئتهم الاجتماعية.

التصالح

كشأن أيّ محطة أخرى في حياة المرء، سيرورة الانتقال من الإنكار إلى الاعتراف إلى التصالح أتت مصحوبة بتحدّيات خاصة بها، ومصادر دعم قد وظّفها الأشخاص للتعامل مع هذه التحدّيات. وقد برز من خلال المقابلات نمط صاحبته التعامل الناجع والوصول لسيرورة التصالح مع الذات، وهو نمط من تعميم هذا التصالح ليشمل جوانب أخرى في شخصية الفرد أو مركّبات أخرى لهويّته، ويبدو أنّ هذا التعميم قد أسهم في دفع سيرورات اكتشاف وتصالح ذاتيّ أخرى.

لقد حدّثنا غالبية الأفراد في العيّنة أنّهم/نّ عند الوصول إلى محطة التصالح استطاعوا تعميم هذا التصالح لجوانب أخرى من الشخصية. ففي هذه السيرورة، تنسجم الهوية الجنسية كجزء مع سائر أجزاء الشخصية. وقد أفاد المشاركون/ات أنّهم وصلوا إلى إدراك أنّ جميع هويّات المرء هي جزء منه/ا،

بل متذبذبة وثنائية الاتجاه، وحتّى دائرية في بعض الأحيان، شكّلتها وموّضعتها الأحداث الصادمة وردود الفعل مثل تجربة عابرتين أدركنا -بعد التوصل إلى تصالح ما- أنّ مصدر الارتباك هو الهوية الجندرية لا الميول الجنسية، وهو ما أعادهما إلى محطة انعدام الوضوح. في تجربة أخرى، بعدما وصل الشخص إلى مرحلة التصالح ذاتي -والذي يترّك الوصول إليها كان دائرة الأصدقاء الشبيهة بها- انتقلت مع عائلتها للسكن في بيئة غريبة عنها وأكثر "مُحافظة"؛ وذلك أعادها لمشاعر الوحدة و "الشعور بأنّها المثلية الوحيدة في هذا البلد"، ولأوّل مرّة شعرت أنّها تكره مثليّتها والصعوبة التي ترافقها.

ويمكن تقسيم هذه المحطّات المتداخلة على النحو التالي:

الإنكار

أحد أبرز ردود الفعل لإدراك طبيعة ومعاني وتداعيات اختلاف الشخص هو الإنكار، أي إخراج هذا الإدراك من وعي الشخص. أحد أبرز أشكال ردود الفعل لعدم التقبّل العاطفيّ هو إيجاد "مبّررات" لهذه المشاعر والميول، تساعدهم/نّ على الإنكار. لجأ غالبية أفراد العيّنة إلى ردّ الفعل هذا بعد إدراك التجربة الجنسية أو الجندرية المختلفة لأول مرة. قد أتبع الأشخاص هذه الآلية بعد حساب (واعٍ أو غير واعٍ) لأرباح أو أثمان من جزّاء الاعتراف أمام الذات بهذه المشاعر والميول، عندها قرّرت هؤلاء الأشخاص أن يضعوها جانباً وعدم التعامل معها أي كبتها بعيداً عن الوعي؛ فحتّى الانكشاف للمثلية في التلفزيون والإعلام لا يثير لديهم/ن أي شكوك أو مشاعر بأنّ الموضوع المطروح يخصهم/نّ.

هذا الإنكار، كما أفادنا المشاركون/ات، قد يستمرّ لفترة طويلة يمارس فيها الشخص "سلوكيات غير مفهومة" أو تعترية "مشاعر غير مدركة". تلك محطة وُصفت من خلال التعبير "فترة الغباش" أي عدم الوضوح. يستمرّ الأشخاص في هذه المرحلة في كبت المشاعر ومواجهة الصعوبات والتحدّيات العديدة التي ترافقها إلى حين مصادفة محقّز أو العكس، أي مصادفة محقّز يسبّب عدم الوضوح، وهو ما يبقى الشخص في دائرة مفرغة من الإنكار قد يراوح فيها لفترة طويلة.

أشار غالبية الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة في العيّنة إلى الشعور بالوحدة، أو "بالغربة"، أو بعدم وجود تجارب مماثلة أو شبيهة لتجربة الشخص؛ وهو الأمر الذي رافقته عزلة اجتماعية ومحاولات للتواري عن الأنظار، أو محاولات للاندماج في البيئة الاجتماعية من خلال إكراه النفس على ملاءمة معايير معيّنة في الشكل أو العلاقات.

ينبغي التنويه أنّ جميع الأشخاص الذين /اللوّاتي قمنا بمقابلتهم/نّ قد تخطّوا مرحلة الإنكار والمحطة ذات الرقم واحد، وقد قابلناهم/نّ بحُكم إدراكهم/نّ لذواتهم/نّ وتصالحهم/نّ م معها كأشخاص يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة.

الإدراك

المحطة الثانية، في مسار التعامل الذاتيّ مع إدراك الهوية الجنسية، كان الاعتراف أمام الذات وإدراك طبيعة الاختلاف الذي يشعر به الشخص منذ الطفولة ("أنا أحبّ /أرغب /أريد..."). وقد أدّى هذا

وكان ذلك -حسبما أوردته المشاركون/ات- بحكم الاغتراب الشديد الذي شعروا به بين هويتهم/نّ الفعلية وما يحاولون أن يُظهروه للعالم الخارجي. ففي حين يمثل البيت براً أمان في حياة معظم البشر، أفادنا غالبية المشاركين/ات أنّهم قد شعروا -ولا سيّما في البيت والبيئة المقربة- بأنهم/نّ لم يستطيعوا أن يكونوا أنفسهم/م فعلاً، حتّى إنّ الأمر كان يتطلّب الكذب على الأهل إن أرادوا الخروج بصحبة أصدقاء لهم/نّ.

وقد وصف عدد كبير من المشاركين/ات الأمر بـ "الخوف على العائلة والخوف من العائلة": "الخوف من ردة فعل العائلة ورفضها لولدها، والخوف على العائلة من التعرّض للمتاعب و "كلام الناس" من جرّاء احتمالية الكشف لبيئة رافضة للتعددية الجنسية والجندرية عن هويته ولدها. هذا الخوف جعل بعض الأشخاص يرغبون في "ضمان" ذواتهم/نّ من جميع الجوانب، فبدأ البعض بممارسة رقابة ذاتية كالسيطرة على الجسد، ومراقبة التحركات وطريقة الكلام والمظهر.

كذلك أفادوا بأنّ وجودهم/نّ في حيّز البيت قد خلق لديه/ا الشعور بأنّه/ا الوحيد/ة في العالم مع هذه التجربة، ممّا عزّز الشعور بالوحدة وصعد من حالة الاغتراب لديه/ا، وعلى وجه التحديد إن علم الأهل بموضوع جنسائته ولدهم ورفضوها على نحوٍ علنيّ أو أنكرها. في حالاتٍ أخرى، زاد التعلّق الاقتصاديّ بالعائلة صعوبةً وتركيب الموضوع. وقد برزت لدى عدّة أشخاص من العينة صعوبة مقاومة ضغوط الأهل في بعض المسائل، نحو: الزواج؛ ارتداء الحجاب؛ الانصياع لمعايير اجتماعية نمطية أخرى لا تتوافق مع رغباتهم/نّ الداخلية وهويتهم/نّ الجنسية والجندرية التي يحاولون حفظ التصالح معها.

ثمة نوع آخر من المخاوف التي حفّت بالتحديات هذه المرحلة من التصالح، ظهر لدى عدد ليس بالقليل لدى المشاركين/ات، وكان مصدره العنف المجتمعيّ الموجه إلى الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة، في الواقع أو على وسائل التواصل الاجتماعيّ، وهو ما وُدّ لديهم/نّ الإحساس بالضغط والقلق من العنف كتحديّ يوميّ وأساسيّ. فبحسب البعض، هذا التصالح عندما يشمل الجوانب كافة ودونما رقابة على المظهر والسلوكيات، أي حين يشمله كشف عن الهوية وعيشها على الملأ، هو أمرٌ يغيّر من موازين القوى في بيئتهم/نّ ويقلبها ضدّهم/نّ ويضعهم/نّ في "موقع ضعف اجتماعي" ويجعلهم يواجهون أسئلةً خرجة وغير مريحة وخرافات مؤذية ومستفزة أو حتّى خطر جسديّ.

وشدّد الأخصائيون/ات على الأزمات النفسية التي مرّ بها أشخاص يعيشون توجهات جنسية وجندرية مختلفة، والتي تنتج عن الخوف من الانكشاف، والخوف من الوحدة، وعدم وجود مستقبل واضح، وغيرها من المشاعر التي تنتج من إدراك تجربة الشخص الجنسية والجندرية، وقد تستمرّ إلى ما بعد الوصول إلى التصالح معها، والتي تُترجم إلى قلق واكتئاب ونوبات هلع وإيذاء نفس، وغير ذلك.

وأنت الهوية الجنسية، على الرغم من مركزيتها في تجربة المرء، ليست الهوية الوحيدة، وأنّ تصالّحهم/نّ مع جنسائتهم/نّ قد أدّى إلى التصالح مع جوانب أخرى، كالظهور الخارجي، ومبنى الجسد، والهوية الوطنية وغير ذلك... وبحسب وصف الأشخاص، رافقت هذا التصالح أحياناً حصانة أكبر في وجه العنف المجتمعيّ وفي التعامل مع "كلام الناس". كذلك ازدادت تدريجياً لدى الأشخاص في هذه اللحظة راحتهم/نّ النفسية وثقتهم/نّ في أنفسهم/نّ، وأصبح التعامل مع الذات والأهل بأقلّ قدر من الجدة وبقدر أكبر من اللطف.

في هذه المرحلة بدأ البعض يتجرّأون في المبادرة إلى إجراء نقاشات وحديث حول مواضيع التعددية الجنسية والجندرية، فرغبوا في توسيع دائرة ظهوره من العائلة المقربة للعائلة الموسعة. وقد أشار عدد من أفراد العينة إلى أنّهم أصبحوا يتعاطفون ويتفهمون ويتصالحون مع أهلهم ومع صعوباتهم.

وقد أشار بعض الأشخاص أنّهم كانوا، في بداية سيرورة تصالّحهم، لا يلتقون اجتماعياً إلاّ بأشخاص متقبّلين/ات، أو بأشخاص يعرفون أمر هويتهم/نّ الجنسية، أو حتّى فقط بأشخاص يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة، ولكن بمرور الوقت توافرت لديهم القدرة أن يكونوا مع أشخاص غيريّين، وأشخاص لا يعرفون هويتهم/نّ، وحتّى أشخاص غير متقبّلين/ات للتعددية. فضلاً عن هذا، نمت خلال هذه السيرورة مشاعر حبّ للمجتمع ورغبة وقدرة لتوظيف تجربة الشخص لمساعدة آخرين/ات شبيهين/ات وإحداث تغيير مجتمعيّ. في هذه اللحظة، كثيراً ما ورد في المقابلات مقولة "أنا لا أريد /أطالب أن يتقبلي المجتمع. ما أريده /أطالب به هو ألا يعنّفني".

وأسهمت في الوصول إلى محطة التصالح -وإلى تعميمه لاحقاً- جملةٌ من العوامل، أبرزها الالتقاء بأشخاص شبيهين يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة، مثل وجود صديق مثليّ يتحدّث مع الشخص عن مواضيع التعددية الجنسية والجندرية، ويشجّع على ممارسة المشاعر والرغبات دونما شعور بالذنب. بالإضافة إلى الانكشاف على عالم الإعلام والفنّ (كالأفلام على سبيل المثال)، والانكشاف على مشاهير مع تجارب شبيهة، أو الوصول إلى معرفة عبر الإنترنت بشأن قضايا التعددية الجنسية والجندرية، وبطبيعة الحال وجود مساحات مجتمعية (كمؤسسة القوس مثلاً) وصل إليها أحد أفراد العينة من خلال توصية أستاذ في الجامعة، أو حظ الإصغاء والمعلومات.³⁸

وعلى الرغم من التصالح وتعميمه، فإنّ هذه اللحظة هي كذلك كانت مقرونة بتحديات وصعوبات؛ فقد شاركنا معظم الأفراد في العينة في أنّ أكبر تحدّي واجههم في هذه اللحظة هو إخفاء الهوية عن الأهل؛ فالكذب الدائم عليهم والحفاظ الدائم على السرّ من المجتمع، كانت تحديات كثيرة ما جعلتهم/نّ يشعرون بالخوف والقلق والحاجة إلى الانسحاب الاجتماعيّ، وصولاً إلى ظهور أعراض اكتئاب لدى البعض.

38 خط الإصغاء والعلومات يعمل أيام الأحد والأربعاء، من الساعة الخامسة حتّى التاسعة مساءً، على الهاتف 0722220202 أو الموقع: www.alkhat.org

المستوى الثاني: مسار مشاركة الأهل

عند الحديث عن مسارات مشاركة الأهل في تجربة الأشخاص الجنسية والجندرية (ذاك ما هو معروف بـ "الخروج من الخزانة")، من المهم الاستهلال بأن يشار إلى أنّ البعض لم تكن لديهم إمكانيّة السيطرة أو اختيار الخوض في هذا المسار أصلاً بسبب اختلاف تعابيرهنّ/م الجندرية منذ فترات مبكرة من الحياة. المقصود أنّ مجرد كون الشخص أنثى مع تعبيرات "رجولية"، أو ذكرًا مع تعبيرات "نسائية"، يعرّضه تلقائيًا لعنف مجتمعيّ حتّى قبل أن يحظى بفرصة فهم هذه التجربة واستكشافها.

تأتي خطوة الإفصاح عن الهوية الجنسية مع الكثير من المخاوف والصعوبات، وبخاصة عندما يتعلّق الأمر بالوالدين أو العائلة؛ ففي تجارب معظم الأشخاص قد استساغوا مشاركة أصدقائهم قبل مشاركة أهلهم. وقد تفاوتت ردود فعل الأصدقاء بين التقبّل والدعم والرفض والتشهير أو حتّى التجاهل.

أما في ما يخصّ مشاركة الأهل، فقد ظهرت تركيبة أكبر من المشاعر والدوافع والتخطّطات والمخاوف، إلّا أنّ الخطوة كانت -على وجه العموم- مدفوعة بالشعور بالوحدة والبعد عن العائلة، ومن العبء الذي يخلفه وجود السرّ أو عيش حياة مزدوجة مع العائلة وخارجها، وهو ما يؤدّي إلى تجنّب الجلسات العائليّة، أو إلى تغيير قصص الحياة اليوميّة أو غير ذلك. ظهر موضوع مشاركة "السرّ" من قبل الاختصاصيّات/ين في العيّنة أيضًا، حيث كان أحد الإنجازات المركزيّة في السيرورة العلاجيّة والذي -بحسب الاختصاصيّات/ين- لم تُنتج مشاركته مشاعر إيجابيّة بالضرورة، بل رافقته مشاعر صعبة، إلّا أنّ الأهمّ كان توفير مساحة آمنة للمنتفع لمشاركة هذا الأمر.

على سبيل المثال، شكّلت العلاقات العاطفيّة والنظر إليها على أنّها غير حقيقيّة ما دامت العائلة لم تعرف عن حقيقتها، شكّلت حافزًا كبيرًا للكثير من الأشخاص في العيّنة لمشاركة العائلة، إضافة إلى الرغبة في راحة الشريك/ة عند زيارة بيت العائلة. وثمة حافز آخر تمثّل في الخوف من أن يعرف الأهل عن مصدر آخر غير الشخص نفسه، وبالتالي كان من الضروريّ أخذ الخطوة بأنفسهنّ/م. وفي تجربة عابرة في العيّنة، كانت مشاركة العائلة بعد أن ضاقت ذرعًا باستخدام صيغة المذكّر معها.

أشار كثير من عيّنة البحث أنّ خطوة مصارحة الأهل بشأن الهوية الجنسية كانت خطوة مركزيّة في حياتهم/نّ، حيث أشار شخصّ -على سبيل المثال- أنّه بدأ يشعر -بعد سنوات عديدة من الحياة البعيدة عن الأهل- بأنّ الكذب والحفاظ على السرّ يستهلك طاقات نفسيّة كبيرة لديه، وبأنّ علاقاته "مزيفة"، وبأنّ "أجزاء منه أصبحت غير حقيقيّة"، فقرّر أنّه "يستحقّ أن يحيا بشعور أفضل ودونما خوف". بيّد أنّ خطوة المشاركة في ذات الوقت كانت ملأى بالمخاوف (نحو: قطع العلاقات؛ الإرغام على الزواج؛ الخوف على الأمّ على وجه التحديد). نبعت هذه المخاوف من ملاحظات أو نقاشات سابقة مع العائلة بشأن هذه القضايا.

أضف إلى ما سبق أنّ طرق المشاركة تتوّعت؛ فثمة من وصفها بـ "انفجار" فجائيّ بعد سؤال مباشر

للشخص حول الموضوع أو "تسميع كلام"، بينما وصف البعض هذه التجربة بأنّها أتت على هيئة "انهيار" و "اعتراف" على أثر العجز عن تحمّل عبء الإخفاء أو الإنكار أكثر. وأفاد عدّة أشخاص بأنهم/نّ عاشوا نوعًا من الحماسة بعد مسار التصالح الذاتيّ الذي وصلوا إليه، الأمر الذي جعلهم/نّ يندفعون لمشاركة أصدقاء وأشخاص آخرين، دون فهم تداعيات هذه المشاركة، ممّا أدّى آنذاك إلى رفضهم من قبل البعض، أو إلى فضح سرّهم/نّ ومشاركته مع آخرين دون إذنهم/نّ أو دون الأخذ بعين الاعتبار حاجتهم/نّ لأن يكون الموضوع سرّيًا في الوقت الحاليّ. وكان أحد أثمان هذه الاندفاعات أو الإفصاح دون حساب أو تخطيط مسبق "الفضيحة" أمام الأهل والمجتمع (على نحو ما أسماها المشاركون/ات)، وهو ما "يُخرج" الشخص من "الخزانة" رُغمًا عنه أو دونما جاهزيّة لديه لذلك، كما ورد في حديث عدّة أشخاص من العيّنة عن تجربتهم/نّ.

وأخيرًا، ظهرت في العيّنة في تجربة بعض الأشخاص سيرورة تخطيط وتجهيز ومحاولة خلق تطبيع تدريجيّ، وذلك تمهيدًا للحظة الإفصاح والمصارحة أو في محاولة لتلطيف ردود الفعل بعد المشاركة، وهو الأمر الذي شارك به بعض الأخصائيين/ات حول تدخّلات علاجيّة حاولت أن تبني سيرورات يمرّ بها المنتفع مع العائلة، كأن يتخيّل نفسه مكان الأهل لزيادة التعاطف معهم، أو التحضير لسيناريوهات مطروحة للتفكير في الخيارات والإمكانيات التي يملكها الأشخاص.

وحسب الأخصائيين/ات في العيّنة، من العوامل التي لها بالغ التأثير على سيرورة الإفصاح والمشاركة هذه سنّ الأولاد التي كلّما ارتفعت كانت المشاركة أقلّ صخبًا و "انفجارًا"، بالإضافة إلى العلاقات القائمة أصلاً في الأسرة دون علاقة للإفصاح عن هذه التجارب، ففي طبيعة الحال وجود تواصل وانفتاح ومشاركة في العائلة يسرّّل مشاركة موضوع شبيه، ويجعل من التعامل معه أكثر تقبّلًا، وهو ما أشارت إليه الأقرات؛ إذ إنّ تعويد الأبناء على مشاركة مواضيع مختلفة منذ الصغر ومناقشتها والامتناع عن إخفاء أسرار بين أفراد العائلة، وعدم الخوض في نقاشات في حالات الغضب، وأمورًا أخرى تتعلّق بالحساسيّة والاحترام التي تبني محبة وثقة بين أفراد العائلة، تلك جميعها أمور ساعدت في التعامل مع الموضوع، وسنأتي عليها أيضًا في الحديث عن "المقّوم البنيوي" في الفصل الرابع.

العائلة كجزء من منظومة العنف: ردود فعل العائلة

من وجهة نظر الأولاد وأثرها على تجاربهم/نّ

نحاول في هذا الجزء التطرّق إلى ردود فعل الأهل من وجهة نظر الأولاد، مع العلم أنّ هذه الجزئيّة ستعود مرّة أخرى في الفصول القادمة، إلّا أنّنا نستعرضها هنا لنقرنها بالعنف الذي يتعرّض له أشخاص يعيشون تجارب جنسيّة وجندرية مختلفة بعد الإفصاح والمشاركة بشأن هذه التجارب، كون العائلة جزءًا من منظومة القمع والعنف الأكبر أو مؤسسة يُعاد إنتاج العنف فيها.

توضّح المقابلات أنّ حجم الضغوط الاجتماعيّة والنفسية ما بعد الإفصاح لا يقلّ حتمًا عما قبله بالضرورة، فقد تعرّض ويتعرّض أشخاص يعيشون تجارب جنسيّة وجندرية مختلفة لأحداث عنف ولتجارب

صعبة وتحمل إساءات ليس من السهل التعامل معها، منها ما هو ماديّ يطول أجسادهم/م أو ما هو رمزيّ يتمثل في أفكار نمطيّة ومغلوبة حول الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسيّة وجندريّة مختلفة.

فقد تعرّض بعض الأشخاص من العيّنة لعنف كلاميّ وتحزّشات جنسيّة في الشارع وفي الحيّز العامّ، وتعرّض جزء آخر منهم/نّ إلى رفض وتنمّر من الأقران والأصدقاء في المدرسة والجامعة وإلى تنمّر رقميّ. بينما تعرّض شخص إلى محاولة اغتصاب، وتعرّضت مشتركة إلى عنف جسديّ في الحيّز العامّ بسبب الرفض لمظهرها ولتعبيرها الجندريّة. كما تعرّض شخص آخر إلى عنف من الشرطة يشمل عنفًا جسديًا، ممسًا بالخصوصيّة واعتقال بمبرّر "خدش الحياء العامّ". كذلك صادفت عابرة أطباء وطواقم صحيّة غير وديّة وعنيفة كلاميًا على نحوٍ ظاهر وكذلك على نحوٍ مبطنٍ ورمزيّ.

تتنوّع المساحات التي يلاقي فيها أشخاص يعيشون توجّهات جنسيّة وجندريّة مختلفة العنف أو الأفكار والصور النمطيّة المغلوطة، بما فيها سوق العمل، من أصدقاء، أو من أفراد العائلة الموسّعة، على غرار التّفوّهات التالية: "الثلثي متحرّش"، "الثلثي معتدٍ على الأطفال"، "الثلثي يحاول التشبّه باليهود"، "الثلثي قد تعرّض لاعتداء جنسيّ في طفولته"، "الثلثية مرض مُعدّ"، "الثلثيون جواسيس"...

وقد قوبل بعض الأشخاص بخرافاتٍ من مهنيّين/ات يدرسون أو يعملون في مجال علم النفس: "الثلثية تنتج من ميّزات العلاقة مع الأمّ"، "إنّ التعبيرات الجندريّة غير النمطيّة عند الأطفال هي مرض يجب أن يعالج ويصحّح". ويتحدّث الأفراد عن أثر أليم تركه هذه الخرافات في نفوسهم/نّ وتزيدهم اغترابًا عن بيئتهم/نّ وعن ذواتهم/نّ في أحيان عديدة. البعض غدّوا هذه الخرافات أشدّ وقعا من العنف الجسديّ.³⁹

وفي هذا الصدد، أشار الأخصائيون/ان إلى أنّه ليس بالضرورة أن يتعرّض الأشخاص أنفسهم/م لتجارب العنف الماديّ أو اللعوي، بل تكفي ملاحظته ومشاهدة أشخاص آخرين من المثليّات/ين أو العبارات/ين تعرّضوا لهذا العنف، بالإضافة إلى استدخال العنف من الأشخاص الذين يعيشون توجّهات جنسيّة وجندريّة من المؤسسات والمنظومة المجتمعيّة القائمة وإعادة إنتاجه على أنفسهم/م.

وبالتالي، ليست العائلة حالة خاصّة في هذا السياق. من بين عائلات الأفراد الذين قابلناهم/نّ، ثمة أهل شخص واحد فقط تقبلوا اختلاف ميول ولدهم الجنسيّة من وجهة نظر الأولاد الذين قابلناهم/نّ، وهذا التقبل قد شكّل مصدر دعم للشخص حيال الصعوبات والضغوط الناتجة عن البيئة الاجتماعيّة. أمّا سائر ردود الفعل، فشملت الرفض أو الإنكار أو التعمير والمضايقة أو محاولة تغيير الشخص (يشمل كذلك مثالًا لتوجيهه/ا لتلقّي علاج "تصحيحيّ")، وصولًا إلى العنف الكلاميّ والجسديّ.

39 للتوسع أكثر في المعلومات المغلوطة مهنيًا ونفسيًا حول التجارب الجنسيّة والجندريّة المختلفة، انظري في موقع القوس: "مدخل إلى قضايا التعدّدية الجنسيّة والجندريّة للمهنيّين في مجال الصحة النفسية والجمعيّة".

وقد أفضت تجارب بعض الأفراد مع عائلاتهم/نّ إلى التطبيع مع ميولهم/نّ الجنسيّة والجندريّة المختلفة على الأمد البعيد، وجرى التعمّد عليها. في حين اتّخذ بعض المشاركين/ات من السخرية على موضوع المثليّة أو التعدّدية الجنسيّة والجندريّة في داخل العائلة كمؤشّرٍ لتقبّله في العائلة.

تنوّعت ردود فعل الأشخاص في العيّنة مع تعامل العائلة العنيف مع تجاربهم/م الجنسيّة والجندريّة، فإزاء أسئلة الأهل المتعدّدة الهجومية والمحرّجة أحيانًا، جلس بعض أشخاص العيّنة وأجابوا عن كلّ الأسئلة والاستفسارات المطلوبة، بينما في حالة أخرى جمع شخص أعراضه وخرج من البيت عندما كانت أمّه تهاجمه كلاميًا.

علاوة على ما سلف ذكره، شاركنا عدد من الأشخاص بمشاعر الانزعاج أو الغضب تجاه مفاجأة الأهل عند "اكتشافهم"، وكان أولادهم قد حسبوا أنّهم على علم بالأمر منذ وقت طويل، ولكن تبين أنّهم يعيشون حالة إنكار للموضوع. في المقابل، شارك عددٌ من الأشخاص أصدقاءهم/نّ بموضوع مشاركتهم/نّ للأهل وتلقّوا الدعم منهم/نّ. وعبر آخرون عن الشعور بالسوء تجاه الصعوبة التي يشعرون بها الأهل بسببهم، وكذلك بالشعور بالذنب.

وقد جرى شخص من المشاركين/ات أهله في لقائه لاختصاصيّ نفسيّ بعد تحديد شروط من جهته لتعامل الأهل معه بعد هذا اللقاء. بينما أطاعت عابرة رفض أهلها لثورتها وسلوكياتها وبدأت تضبط سلوكها ومظهرها. نتيجة العنف الأسريّ الذي مورس عليه وحبسه المنزليّ، شعر أحد أفراد العيّنة بالاكئاب، وفكّر في الانتحار. بينما تراجع شخصان عن تصريحهما وقاما بإعطاء مبررات ("سنة ومقرت")؛ "أنا متديّنة ومش رح أمارس مثليّتي"، الأمر الذي أعاد أفراد عائلاتهم/نّ إلى مرحلة الإنكار.

لهذا التعامل وهذه الردود آثار على علاقة العائلة بالأولاد، حيث شاركنا عدد من الأشخاص المشاركين/ات في العيّنة بأنّ علاقتهم/نّ بأهلهم/نّ قد أصبحت سطحيّة، فيها الكثير من الحواجز وجوانب حياتيّة كاملة لا تُلمس ولا يجري الحديث عنها. وفي المقابل، تقبل جزء كبير من الأشخاص رفض الأهل وباتوا يتجنّبون المواضيع "الحساسة" خوفًا من خسارة الأهل وقطع العلاقات معهم/نّ.

كذلك أفاد البعض أنّهم يتعرّضون لمحاولات تذبذب و/أو ابتزاز عاطفيّ، ثمّ يُسألون أو يجري الضغط عليهم/نّ من أجل دفعهم للزواج. يشعر أشخاص من العيّنة بالراحة من القيود والعوائق بعد مشاركة أهلهم/نّ، وآثمة ازداد انفتاحهم/نّ على العائلة، وصراحتهم/نّ، وقدرتهم/نّ في إظهار خصالهم/نّ الحساسة أمام الناس، وباتوا يسمحون لأنفسهم أن يحبّوا وأن يرتبطوا.

إنّ مشاركة الأهل وتقبّلهم قد زادت التصالح الذاتيّ لدى آخرين/ات، وأصبح لدى أحدهم/إحدهم الرغبة بمشاركة الأصدقاء من بعد مشاركته/ا للأهل، بينما استطاع شخص أن ينطلق ويظهر وينشط سياسيًا. كذلك شاركنا أشخاص آخرون من العيّنة بأنّهم مع مرور الوقت عادوا فتقربوا إلى أهلهم/نّ وعائلاتهم/نّ، وقد توقّفوا عن تجنّب الجلسات العائليّة، بل ازداد مدى مشاركتهم لعائلتهم ومشاركة أفراد عائلتهم/نّ لهم/نّ في المواضيع الحياتيّة.

وقفه مع الأدبيات: العائلة ومفاهيم الاحتواء والاحتضان

كان ما عرضناه حتى الآن في هذا الفصل النتائج التي توصلنا إليها من المقابلات مع أفراد العينة، والتي مكنتنا من تشكيل صورة أو نموذج - وإن كان أولياً - حول المسارات التي يخوضها أشخاص يعيشون توجهات جنسية وجندرية بالتعامل مع ميولهم/م وهويتهم/م الجندرية. في هذا الجزء، نمرّ بإيجاز على بعض المفاهيم الأساسية في علم النفس من أدبيات علم النفس التي تناولت العائلة، وهي بالتحديد مفهوم الاحتواء والاحتضان، ونحاول أن نفحص تفاعل أو توظيف هذه المفاهيم لفهم أكبر لخرجاتنا.

من وجهة نظر **الاحتواء**⁴⁰، قد تحدّث بيون عن مفهوم الاحتواء (Containment)، وأشار من خلاله إلى حاجة الطفل/الولد للاحتواء من قبل أهله أو الشخصيات التي تُقدّم العناية، وقصد به الحاجة إلى احتواء الصراعات الداخلية التي يواجهها الولد، والتي تولّد بداخله مشاعر غير مفهومة. فما يفعله احتواء الأهل هو عملياً محاولة توضيح مشاعر ولدهما وتفكيك اختلاطها حتى يتمكن الولد من استيعابها وهضمها، وما يُقدّمه الأهل للولد في هذه الحالة هو من قبيل التيسير لفهم الصراعات والتناقضات الداخلية على نحوٍ ملطّف يتيسر بعده السيطرة عليها أو التعامل معها.

غياب عامل الاحتواء هذا عن تجارب معظم الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة يُصعّب التعامل مع تحدّيات هذه المرحلة وما قبل الوصول إليها، ممّا يُظهر فرطاً في المشاعر وردود الفعل وصفها البعض أحياناً بالتهوّر أو بالانسحابية أو المؤذية للذات. كذلك شاركنا بعض الأفراد في شعورهم/نّ أنّذاك بعدم التواصل مع الذات وإلى الشعور بالوحدة، الشعور بـ "أني غريب" أو "غلط"، و "أنا لا أشخاص مثلي وليس هنالك كلمات للتعبير عن تجربتي كمشاعر".

أمّا عن مفهوم **الاحتضان** (Holding)، فبحسب وينيكوت يضمن حماية الولد من العالم الخارجي، ويقصد به تفسير أو جلب أو إحضار العالم الخارجي الخاص بالولد وملاءمته بما يتناسب مع وتيرته/الشخصية، حتى يتسنى للطفل فهم واستيعاب العالم الخارجي⁴¹. وفي سياق فهم التجارب الجنسية والجندرية المختلفة في ظلّ المجتمع المحيط، يحتاج الولد - في التطرّق إلى موضوع الرغبات والميول الجنسية والعاطفية للولد واختلافها عمّا هو نمطي - إلى ما يساعده وييسر له فهم هذا العالم الخارجي وفهم اختلافه عنه بشكلٍ ملطّف ومُجِبّ يتيح له إدراك معايير المجتمع وكيفية التعامل معها، في ظلّ ما يشعر به هو/هي كشخص.

يسهم الاحتضان الناجع في استيعاب وتفسير عالم الأولاد الخارجي. أمّا عدم وجوده، فلا يساعد في استيعاب العنف الخارجي وهضمه. فمن بين التجارب التي رُصدت، كانت هناك تجربة لم تتدخّل المدرسة فيها، على الرغم من وضوح المأزق الذي تمرّ فيه العابرة والجورّ الحاصل عليها. وفي تجربة أخرى،

40 Bion, Wilfred. 1970. *Container and Contained. In Attention and Interpretation: A Scientific Approach to Insight in Psycho-Analysis and Groups*, 72-82. London: Tavistock.

41 Winnicott, D W. 1964. *The Child, the Family, and the Outside World*. London: Puffin.

اعتبرت المدرسة انجذاب البنت المثلي مرصاً نفسياً، ووجهت المشتركة لتلقّي علاج سلوكي تصحيحي. أمّا من حيث البيئة الاجتماعية، فالتجارب التي ذكرت هذا الجانب أشارت إلى تجارب عنف وتنمر يومي ونبت في المدرسة والشارع.

ونرى أنّ فسوة التجربة في غياب هذا الجانب تتجلى على الصعيد النفسي، فقد أفاد معظم المشاركين أنّ احتداد ردود فعل البيئة دفع بهم/نّ لأنّ يعتمدوا إلى ردود فعل صعبة، كالإنكار أو التجاهل أو الانسحاب اجتماعياً، وقد وُلد ذلك تناقضاً أو عدم توافق على أقل تقدير، بين مشاعر ورغبات الشخص من جهة، والعالم الخارجي الذي يُجرّم هذه المشاعر والرغبات من جهة أخرى.

توفير عاملي الاحتضان والاحتواء عموماً -وتوفير الاحتواء على وجه الخصوص- للولد يحتاج إلى قدرٍ من التفرغ العاطفي لدى الوالدين اللذين يمنحانه، بينما سنخوض ونتوسّع في الفصل التالي الذي يصف تعامل الوالدين مع جنسائية أولادهما/بناتهما في سياق القهر، إذ إنّ الإفراط العاطفي الذي يشكّله استبطان العجز والدونية يُعيق فهمهم/نّ الأمر بأنفسهم/نّ أو فهم مشاعرهم/نّ تجاهه، وهو ما يجعل تقديم هذا الاحتواء للأولاد أكثر صعوبة إلى حدّ الاستحالة.

وفي الحديث عن غياب العاملَيْن الواردَيْن آنفاً (الاحتضان والاحتواء)، يجد الأشخاص أنفسهم علاوةً على ذلك بحاجة إلى توفير الاحتضان والاحتواء هذين لمشاعر أهلهم/نّ ولتخطّياتهم/نّ حيال هويتهم/نّ الجنسية والجندرية.



الفصل الثالث:

أنماط التفاعل لدى الأمهات وتأثيرها على تجربتهم/نّ

الفصل الثالث: أنماط التفاعل لدى الأمهات وتأثيرها على تجربتهم/ن

ترتيب حدوثها، بحسب السمات العينية لكل شخص. والمراحل الخمس هي: الإنكار والغضب والمساومة والاكتمال والتقبل؛ وسنتطرق إلى كل منها في ما يلي، وذلك بحسب ظهورها في رواية الأمهات بشأن مسار تفاعلهم مع عيش أولادهن لتجارب جنسية وجندرية مختلفة عن النمطية.

الإنكار

هي المرحلة أو النمط المميز لردود الفعل الملاصقة لوقوع الحدث الصادم الذي يمثل فقداناً. يبدأ الشخص بإنكار ويرفض تصديقه، يحاول إيهام نفسه أنه أمر غير حقيقي ولن يؤثر على حياته/ أو حياة أولاده. الأمهات، في هذه المرحلة، حاولن إنكار وتجاهل موضوع مصارحة أولادهن لهن بخصوص هويتهم/ن الجنسية والجندرية، وقد تراوحت ردود فعلهن بين الرفض الصريح وإغلاق الموضوع وتجاهل فتحه مجدداً وصولاً إلى إكمال الحديث عن "المستقبل" وسط اقتراح أو افتراض لعلاقات زوجية مغايرة في حياة أولادهن مستقبلاً، وكأن موضوع مثلية أولادهن الجنسية هو محض "نزوة" (على حد قول بعضهن)، أو كأنه أمر لم يُذكر ولا وجود له كما ظهر من تجاهلهن.

إن عامل الصدمة قد ظهر على نحو أقل لدى الأمهات في الحالات التي ظهرت فيها على أولادهن في سن صغيرة أنماط سلوكية أو صداقات وعلاقات كانت تُثير شك الأمهات تجاه موضوع ميول أولادهن الجنسية أو هويتهم/ن الجندرية. خفف عامل "التمهيد" هذا من وقع صدمة الأمهات، كما يروين اليوم، لكن ذلك لم يؤثر تأثيراً واضحاً على مسار ومدى وصولهن إلى تقبل هوية أولادهن الجنسية و/أو الجندرية. فلدى إحدى الأمهات، أعطاهما هذا التمهيد المساحة للفحص والفهم والقبول ذاتياً أولاً، وقد استطاعت في لحظة إفصاح ولدها عن الموضوع التعامل بتقبل تام. في المقابل، ثمة أم أخرى تجاهلت ولم تودّ تصديق تلك "المؤثرات" أو "التمهيد"، تلقت فكرة واقع هوية ولدها الجنسية تلقياً منصدماً، وهو ما دعاها لزيادة الإنكار من جديد وأخر وصولها إلى "التقبل" الذي تتحدث من خلاله اليوم عن الموضوع.

ووفقاً للاختصاصيات/ين في العينة، أسهم وجود الأولاد بعيداً عن منازل عائلتهن/م في إطالة فترة الإنكار هذه، لعدم وجود داعٍ للتعامل معها ما دام الأولاد بعيدين. كذلك شهدت بعض العائلات -وفقاً للاختصاصيات/ين- تعاملًا عنيقاً مع الموضوع من خلال ملاحظات أو تعليقات عداوية جداً تجاه الأشخاص الذين يعيشون توجهات جنسية وجندرية مختلفة، وذلك كنوع من "إبعاد الشكوك" عن وجودها في عائلتهن/م.

الغضب

تصف كوبلر في نموذجها الغضب بوصفه مرحلة ثانية للتعامل مع فقدان، ففي هذه المرحلة يغضب الإنسان ويبدأ في محاولة إلقاء اللوم والغضب على شيء ما، ويكون الغضب عارماً ويرافقه مقدار كبير من الانفعالات. ويبدأ في طرح أسئلة على غرار التالية: "لِمَ أنا؟"؛ "كيف يحدث لي هذا؟"؛ "مَن المَلوم على هذا؟"...

يتناول هذا الفصل السبل التي تفاعل ويتفاعل بها الأهل، وعلى وجه التحديد الأمهات، مع موضوع عيش أولادهن/ بناتهم لتجارب جنسية وجندرية مختلفة، وبأني هذا عرض ردات فعل الأهل وأنماط تعاملهم مع الموضوع، كما سردتها الأمهات المشاركات في البحث، وكما ظهرت في المقابلات التي أجريت معهن.

وقد تميز ما سردته الأمهات حول تفاعلهم مع الموضوع بأنه لم يقتصر على تفاعل أو رد فعل لحظي أو نُقطي، بل شكّل مساراً تتابعت وتوالت فيه المشاعر والأفكار وردات الفعل المتنوعة؛ وذلك ما دفع بنا لمحاولة تتبع هذه المسارات وملاحظة الموضوعات المميّزة لها أو المشتركة بينها إن وُجدت.

ومن خلال متابعة السرد، انتبهنا إلى إمكانية طرح وتحليل هذه المسارات من وجهة نظر "نظرية الفقدان"⁴² ومراحله وأسسها الاجتماعية في سياق القهر. تطرح "نظرية الفقدان" وتؤسس لوجود مسار تعامل عاطفي مع الخسارة أو الفقدان، مادياً كان أم عاطفياً أم معنوياً، وذلك يشمل -على سبيل المثال-: فقدان أو موت شخص غالي علينا أو مُقرب إلينا، أو انتهاء علاقة حميمة أو فقدان عمل؛ أو فقدان قدرة معينة؛ أو فقداناً للصحة أو لمكانة اجتماعية أو عاطفية معينة.

من الضروري الإشارة إلى أننا نتوجه للتعامل مع المسار الذي خاضته الأمهات كمسار "للفقدان" أو "الخسارة"، لأننا نعتبر أن عيش أي من التجارب الجنسية والجندرية المختلفة أمور تعبر عن "نقصان" أو "خسارة"، بل لحاجة وصف "حالة" أو "نمط" التفاعل لدى الأمهات وشعورهن تجاه اكتشاف هوية أولادهن الجنسية، وعدم توافرها مع توقعاتهن أو آمياتهن المصوغة اجتماعياً. وقد وجدنا إمكانية لوصف تعامل أولئك الأمهات مع "عدم التوافق" هذا، كنوع من التعامل مع الفقدان.

الفقدان في تجربة الأمهات

جُل ما تطرحه نظرية الفقدان يتركز في تمييزها لمراحل سلوكية وعاطفية معينة ترافق التعامل مع صدمة الفقدان، مهما كانت، وتقتصر كما تصفها كوبلر على خمس مراحل، تتفاوت مدة ظهور كل منها وأحياناً

42 Kubler-Ross, Elisabeth, and David Kessler. 2005. *On Grief and Grieving: Finding the Meaning of Grief Through the Five Stages of Loss*. Simon and Schuster.

وفي حقيقة الأمر، لم تظهر هذه المرحلة جلياً في ما سردته الأمهات عن تجربتهنّ، ولا نعرف ما إذا كان هذا من باب الغفلة أم من باب الخجل للحديث عن الغضب الذي يُشاع مجتمعياً أنّه ليس بالشعور المحبّب، أو لأنّهنّ لم يعشنّ مرحلة الغضب فعلاً.

بيدّ أنّه ظهرت لدى غالبية الأمهات، من خلال مقولات غير مباشرة، محاولة للفهم والبحث عن "مسؤولية" تشكّل هويّة جنسيّة مختلفة للأولاد وغدّي أفكارهنّ هذه الآراء السائدة في المجتمع أحياناً ومصادر استقائهنّ للمعلومات في أحيان أخرى، وقد ظهرت في محاولتهنّ لسؤال أولادهنّ عن السبب، وعمّا إذا كان قد حدث أمر خطير معهم/نّ، أو تعرّضوا للأذى أو الاعتداء حتّى أصبحوا "هكذا".

المساومة

وهي مرحلة تأتي في العتاد- بعد الغضب، وتتميّز بطابع من التنازل والتمّي، بحيث يُبدي الشخص فيها الاستعداد لتقديم تنازلات معيّنة لإعادة ما فقده. في الغالب، تحدث هذه المساومة على المستوى الذاتيّ للتخيّل، وتكون موجّهة إلى الله أو إلى قوى عليا يؤمن بها الشخص. وتُشيع في هذه المرحلة التميّيات التي من نوع "سوف أفعل أيّ شيء ليعود مزة أخرى". وقد حاولت بعض الأمهات في هذه المرحلة مساومة الأولاد مثل الطلب منهم/نّ أن يحاولوا تجربة وبناء علاقات جنسيّة مغايرة، أو أملوا أن يلتهم أولادهنّ في شؤون أخرى، لعلهنّ "يعودون" ليكونوا "مُغايرين/ات".

وقد بلغ الأمر، وفقاً للاختصاصيات/ين الذين قابلناهنّ/م، حدّ محاولات تقديم إغراء للأولاد بأمر كالسفر أو شراء سيّارة، أو حتّى ابتزاز الأولاد عاطفياً بجعل مشاعر الأهل هي الأولويّة الأساسيّة نحو: "عشاني"، "حاول..."

الاكتئاب

المرحلة الاكتئابيّة هي مرحلة إدراك الشخص أنّ أمر الفقدان أصبح واقفاً، وتحمل إقراراً بأنّه ليست لديه/ا القدرة على تغييره، ممّا قد يوقع الشخص في نوع من الحزن. وتتميّز هذه المرحلة سلوكياً بظهور الأعراض النكفئة والاكتئابيّة، بحيث لا يُقصد بالتسمية "مرحلة الاكتئاب" حتميّة تشخيص الشخص باضطراب الاكتئاب. وتسمح هذا المرحلة للفرد بالانقطاع، وتحديدًا بقطع نفسه عن الأشياء/الأشخاص المحبوبة عليه. وتساعد هذه الفترة على فهم علاقته مع الأشياء، ولذلك من الضروريّ عيشها للمرور بها والتعامل معها.

لم تُبدي الأمهات، في معرض حديثهنّ، وصف أنماط اكتئابيّة، بل تحدّثن على وجه العموم عن حالة صحّيّة ومزاجيّة جيّدة؛ وذلك ربّما لأنّ رواية ما حدث من وجهة نظرهنّ تأتي اليوم وبعد فترة من التعامل مع موضوع هويّة أولادهنّ الجنسيّة، فلم يتمكّن من تذكّر وضع صحتهنّ في حينذاك؛ إذ لم يلاحظها في ذلك الوقت. وقد يكون ذلك بحكم العادة المجتمعيّة التي يعبر الناس بموجبه عن طيب حالتهم حين يُسألون. ويمكن أن يُعزى عدم ذكر الأمهات لمرحلة الاكتئاب والانسحاب إلى أنّ الأمر لا يتسقى لهنّ أصلاً، وأنّه ليس لديهنّ امتياز النأي عمّن يحبّون ولو لفترة مؤقتة، وذلك بحكم مسؤولياتهنّ كأهّات.

بخلاف ذلك، يظهر النمط الانسحابيّ جلياً في تجارب أولادهنّ، إذ نلحظ نمطاً من الابتعاد من الحيّز العائليّ أو الانتقال إلى خارج البيت (انظر/ي الفصل الثاني). ويبدو أنّ هذا البعد الذي يتّخذ الأولاد يترك مساحة للأمهات أيضاً لعيش هذه المرحلة الاكتئابيّة وإن لم يكن ذلك باختيارهنّ.

التقبّل

بعد التعامل مع فكرة حتميّة حدوث الأمر، ولصعوبة عيش الشخص في عبء الاكتئاب طويلاً، تتبدّى لديه الحاجة إلى الضيّق فُدمًا بغية انتشال نفسه من الاكتئاب، وتمدّد هذه المرحلة الفرد بشعور من السلام والتفهم للفقدان الذي حدث أو ما قد سيأتي من بعده. فضلاً عن هذا، يميّز هذه المرحلة عامل الإقبال على المتابعة، كالقول -على سبيل المثال-: "إنّ ما حدث قد حدث، ولا فائدة من المقاومة. من الأفضل أن أستعدّ لما سيأتي". أو كقول إحدى الأمهات إنّ إدراكها أنّ ميول ولدها الجنسيّة هي حقيقة قائمة ولا يمكن تغييرها جعلها تستنتج أنّه لا داعي لرفضها أو للشعور بالحزن، فلا "حلّ" سوى تقبّلها.

تُفضي هذه المرحلة إداً إلى نوع من التقبّل، لكن يتبدّى لنا تقبّل الأمهات -كما أتى في المقابلات معهنّ- متنوّعاً ومتفاوتاً، وفي بعض الأحيان مشروطاً. فقد عبّرت بعض الأمهات عن مخاوف تجعل قبولهنّ مشروطاً حتّى اليوم، فهنّ يواجهن -على الرغم من تقبّلهنّ لهويّة أولادهنّ الجنسيّة- صعوبة في الحفاظ عليها بالسرّ من المجتمع ولكنهنّ يبدن الإصرار على ذلك، خوفاً من الرفض المجتمعيّ الذي قد يلقاه أولادهنّ. وقد عزّت إحدى الأمهات هذا الخوف لوعيتها بطريقة تعامل المجتمع مع موضوع التعدديّة الجنسيّة والجندريّة، سواء أكان ذلك من خلال الاستهزاء، أو الرفض، أو التحريم، أو تداول خرافات تزعم عدم وجود المثليّة في مجتمعنا، أو تطيرها كمرض، وعبّرت عن قلقها من ألا تكون ثمة لولدها إمكانيّة في العودة إلى البلدة إن أراد ذلك.

في محاولة لفهم ما إذا كان هذا القلق أمراً واقعيّاً، أم إنّّه عبارة عن مخاوف مبنية على افتراضات وأفكار عن المجتمع، حاولنا أن نسأل الأمهات عمّا إذا كنّ يعتقدن أنّ أولادهنّ الذين/ اللواتي يعيشون تجارب جنسيّة وجندريّة مختلفة قد تعرّضوا إلى أيّ تمييز أو اضطهاد. وقد تراوحت الإجابات بين أنّه ("وعلى حدّ معلومتهم") لم تعرّض أولادهنّ لتمييز أو اضطهاد، وأنّه ربّما قد حدث هذا دون أن يشاركنه أولادهنّ في الأمر.

إنّ قضية "تكوين أسرة" وشكل الأسرة التي ستتكوّن كانت محور رفضٍ لدى جزء من أفراد العيّنة؛ فقد جرى التعبير عن رفض فكرة الإنجاب على أيّة حال لا يعرف فيها الأب البيولوجيّ للطفل (مثلاً: بنك المنيّ)، وقد عبّرت إحدى الأمهات عن تفضيلها أن يتّفق ولدها مع شخص مثليّة/ة على الزواج، على الرغم من أنّها تعرف أنّ ذلك مجرد خدعة أمام مجتمع أو على حدّ تعبيرها "ضحك على اللحي"، وذلك ليكون للأطفال أب وأمّ في حياتهم. وقد عبّرت إحدى الأمهات عن الرفض أن يكون لطفل أمان اثنتان أو أبوان اثنان، شفقة منها على الأطفال الذين افترضت أنّ حياتهم ستكون "جهنّم"، وأنّه سننشأ لديهم "عُقد نفسيّة".

مع الولد، وفي ذات الوقت من "السترة" مع المجتمع وعدم خسارة مكانة العائلة في المجتمع؛ وهو الأمر الذي يفيد كلاً من العائلة والأولاد الذين يعيشون توجهات جنسية وجندرية مختلفة.

على الرغم من كل الصعوبات التي تتخلل سيرورة التقبل، فإن أحد العوامل التي شاركتها بعض الأمهات أنّ العطاء تجاه ولدها، أو التضحية وإعطاءه/إمساحة من الأمان من أجل رؤيته/سعيداً/ة، هو أمرٌ بحد ذاته يجعلها تشعر بأنّها أفضل من ناحية نفسية وبأنّها ما زالت قادرة على العطاء.

إنّ أمراً كهذا يجعلنا نتساءل: هل مقولة الأمهات هذه تأتي بحكم ما يُسمى "غريزة الأمومة" التي تودّ لأولادها النمو والبقاء، حتّى يبقى نسلها في الحياة، أم إنّها في حينها ستودّ أن يكون ولدها "متلائماً/ة" مع معايير المجتمع ويحمل معايير تُمكنه من الاستمرار؟ وفي هذه الحالة، حتّى سيكون أمر تقبل الهوية الجنسية للأولاد أكثر سهولة على الأمهات اللاتي يعشن في مجتمعات تعتبر الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة مُستوفين/مستوفيات لمعاييرها، وليست هنالك تكلفة اجتماعية باهظة الثمن (المعنوي) أو "عدم توافق" كذاك الذي تواجهه الأمهات اللاتي يعشن في المجتمعات التي لا تحمل تقبلاً للتعددية الجنسية والجندرية.

تذكرنا مقولة الأمهات هذه أيضاً بنظرية حديثة ونقدية بشأن مفهوم الذات في داخل الجماعة، أو ما يُسمى علمياً "الجسّ النفسي المجتمعي". مُفاد هذه النظرية أنّ اعتبار الفرد لجماعته مصدرًا للدم وللتنوير والفائدة فقط هو مفهومٌ منقوص، وأنّ المجتمعات التي تعيش في القسم الجنوبي من الكرة الأرضية يكتمل معناها الذاتي في الجماعة حين تعطيها وتُضحي من أجلها، وإن كانت على حساب الأفراد ومصالحهم/م الشخصية⁴³، وهذا ما يفسّر الشاعر التي تتعلّق بالخوف من انقطاع العائلة أو فقدان استمراريتها الذي شاركنا فيه الأخصائيون/ات، أو عدم خوض العائلة "اللسار الطبيعي" للعائلات في المجتمع.

يُفضي بنا هذا إلى أنّه لم ترفض أيّ من الأمهات ولدها رفضاً فعلياً، أو طلبت منه/إمغادرة البيت والخروج من العائلة، بل لقد مررن في السيرورات والمراحل التي ذكرناها. وعدم الطرد أو قطع العلاقة هذا بحد ذاته في الإمكان قراءته على أنّه نمط للسيطرة أو الشعور بها، على العكس من سياقات اجتماعية أخرى تلجأ إلى طرد الأولاد أو التبرؤ منهم/م.

الفقدان في سياق القهر

كما بيّنا في الفصل الأوّل، وكما بيّنت أدبيات مختلفة من حول العالم، الرسائل المجتمعية حول موضوع

43 Nowell, Branda, and Neil Boyd. 2010. "Viewing Community as Responsibility as Well as Resource: Deconstructing the Theoretical Roots of Psychological Sense of Community." *Journal of Community Psychology* 38 (7): 828-41. <https://doi.org/10.1002/jcop.20398>.

كثيراً ما رافق تقبل العائلات ليولادهم/م الجنسية رفضاً لأشياء أخرى قد تكون متعلّقة بالموضوع. على سبيل المثال، شاركتنا أم في أنّ زوجها يتقبل ميول ابنه الجنسية، لكنّه يرفض قيام ولده بسلوكيات جنسية "متطرّفة" أو خارجة عمّا هو نمطي، وشاركتنا أم أخرى في أنّ مشكلتها ليست مع المثلية بحد ذاتها، وأنّ المثلية نفسها ليست معيبة، ما دام الشخص يعيش حياته على نحو "طبيعي"، دون سهر وشرب وتعارفات سطحية. وأعلمتنا أم أخرى أنّ زوجها يشير إلى ابنهم بلغة جسده أنّه غير متقبل، على الرغم من أنّه لا يواجه أو يرفض على نحو مباشر.

الأخصائيون/ات أشاروا إلى أمثلة شبيهة، نحو: تقبل الولد المثلي مع رفض فكرة أن يكون في علاقة بسبب الفكرة المسبقة عن المثليين ككل؛ تقبل أم لابنتها العابرة كشخص مثلي وعدم تمكّنها من فهم تجربتها الجندرية.

عن التقبل والفقدان والأمومة

لم يكن من السهل على الأمهات الوصول إلى مرحلة التقبل، وقد أسهم في عرقلة الوصول إليها العديد من العوامل، أبرزها الشُّخ في مصادر المعرفة والدعم، وعدم البناء على الوعي والأفكار التي لدى الأهل؛ والتي تجلّت على نحو بارز في تدخّلات خارجية غير مهنية ومغلوبة من بعض الأخصائيين/ات الذين توجهت لهم/م الأمهات، حيث كانت لديهنّ حاجة إلى الاستفسار لدى طرف خارجي بشأن هذه التجارب وإدراكها، وكان من بين هذه التدخّلات من أشخاص يعملون في المجال النفسي أن لا وجود لشيء اسمه مثليات، أو أن تُغزى المثلية الجنسية إلى صدمة نفسية صعبة في الطفولة، أو أنّ المثلية الجنسية غير مقبولة دينياً وبالتالي ينبغي رفضها.

كما لعب الدور الذي تلعبه العائلة عادةً بحماية الأولاد دوراً في بعض الأحيان في تصعيب الوصول إلى التقبل بسبب الخوف على أمن الأولاد وحياتهم/م. شاركتنا مثلاً إحدى الأمهات رفضها أن تعيش ابنتها في مدينة عربية، خوفاً عليها من الحياة التعيسة والعنف الذي ستلقاه بها بسبب هويتها الجنسية والجندرية المختلفة. بينما ترفض أم أخرى أن "يُشهر" ابنها ميوله الجنسية، ذلك خوفاً عليه من المجتمع وأيضاً خوفاً من أن يكتسب الشرعية لإقامة أسرة، التي يمكن أن ينالها بعد خطوة الأشهر هذه، الأمر الذي كانت ترفضه هي كلياً.

من الواضح لنا أن الوصول إلى مرحلة التقبل بعد المراحل الأربع الأولى (الإنكار والغضب والمساومة والاكتئاب) لا يكون بشكل مطلق أو بلحظة واحدة، بل يقع على طيف من التقبل والرفض -وليس ثنائية، كما يحوي بداخله مسارات موازية وآليات تعامل مختلفة، وهو الأمر الذي شدّد عليه الاختصاصيات/ين؛ إذ ليس من الضروري أن يكون التعامل مع الموضوع بالرفض المطلق أو التقبل المطلق، بل بالتحرك على طيف من الرفض للتقبل، بدلاً من خسارة العائلة و "تدميرها" كلياً.

شاركنا الأخصائيين/ات في القابلات أنّ هذا "الموقف الوسط" يتيح مساحات من الاستمرار في العلاقة

التعددية الجنسية والجنسوية تقوم بدور في مدى تقبل الأهل لهوية أولادهم/ن الجنسية و/أو الجنسوية. وفي هذا الصدد، ارتأينا وجود حاجة إلى فهم كيفية تشكل هذه الرسائل والواقف المجتمعية التي تشكل تحدياً صعباً أمام خيارات الأهل وأنماط تفاعلهم/ن في سياق المجتمعات والشعوب المقهورة مثل المجتمع الفلسطيني، حتى تتسنى لنا إمكانية تفكيك هذه الآلية المجتمعية للضبط وأحياناً للقمع، في محاولة لإعادة بنائها، كضبط بناء وحافظٍ لسلامة وعافية هذه المجتمعات.

يتحدث مصطفى حجازي عن تشكل الآراء والواقف في المجتمعات المقهورة، ويقصد بها المجتمعات التي تُعاني وعانت من قمع ممتدٍ لنموها الطبيعي وقد نُزع عنها توفّر احتياجات أساسية كالشعور بالأمن والسيطرة على المصير، وإنّ هذا النزاع يجعل النفس في حالة من العجز المُفرط ومن الانفعالات المُفرطة. وبذا يسمّي حجازي إنسان هذه المجتمعات الإنسان "التخلف"؛ أي الذي تخلف عن النمو، ولا يقصد ما جرت العادة أن تقصده المدارس الغربية في وصف التخلف نسبةً لها ومقارنةً بها⁴⁴.

ويوصف حجازي الأمر مشيراً أنّ أبرز الديناميات والخصائص الذهنية المنهجية التي تقف خلف تشكل الواقف في هذه المجتمعات، والتي يميّزها في الخطوط العامة عدم التقبل والتمترس، هي اضطراب منهجية التفكير وقصور الفكر الجدي، وقد رآها حجازي كإحدى الخصائص الذهنية للتخلف. ويتلخّص هذا "بصعوبة السيطرة الذهنية على الواقع أو فهمه بكلّ مكوناته وتعقيداته وتبدوله ظواهر الحياة والطبيعة والعلاقات أقوى من طاقته على الاستيعاب وهذا مرتبط بعقدة النقص والعجز اللتين يخلفهما ويصونهما واقع القهر. فيجعل هذا العجز الإنسان التخلف يستسلم لما يبدو على هذه الظواهر من غموض، ويرسخ لاعتباط قوى الطبيعة أو تسلط الفتنة للسيطرة". هذا الرضوخ هو المسؤول عن عدم القدرة على الإنتاج الذهنيّ أو ما أسماه حجازي "الخضاء الذهني"، وهكذا للإنسان التخلف لا يُقبل على العالم بثبات أو ثقة بذاته وبما يحمله من قدرات وأفكار، بل يُبدي التردد ويتجنب اختبار إمكانياته خوفاً من الفشل، وقد يذهب في ذلك إلى درجة ادّعاءه عدم القدرة سلفاً حتى لا يُصاب بخيبة أمل أو كي لا يتضح عجزه⁴⁵.

وقد يظهر ذلك في نظرية تنطبق على أفراد من مجال علم النفس الاجتماعي تُسمّى "نظرية الإفشال الذاتي"⁴⁶، وفيها يتجنب الإنسان اختبار قدراته فيقوم بتهيئة مسبقة لكلّ الظروف التي تُتيح انسحابه أو إفشاله، حتى يتمكن من أن يعزو سبب القصور في قدراته لتلك الظروف. لكن ما قد ميّزه حجازي في وصفه لديناميات تفاعل الإنسان في المجتمعات المقهورة هو أنّه -على وجه العموم- يتبني هذا التوجّه والانطباع عن العالم ويبرز على مستوى المجتمع العريض.

ويظهر هذا الموقف في المجتمعات المقهورة أمام كلّ مُستجد أو غريب يستدعي منّا بذل الجهد أو البحث من أجل تحقيق فهمٍ له، فيميل الإنسان المقهور "إلى التعسّف هرباً من عجزه عن البحث والاستقصاء والتحليل والتوليف، فيطلق الأحكام المسبقة والآراء المتسرّعة مُدعيّاً أنّية الفهم وفجائيتة، دون أن يكلف نفسه الجهد الفكريّ الضروريّ لتحليل الواقع والوصول إلى استنتاجات بشأنه"⁴⁷. وبذلك، ولكون الأهل جزءاً من هذا المجتمع وتضبطهم/ن مواقفه وأعرافه كما أسلفنا آنفاً، فهم/ن يصاغون من معايير اجتماعية للسلوك والتصرف وأعراف مجتمعية تشكل جميعها وعي أفراد المجتمع، وتصل اعتقادهم/ن وتضبط سلوكهم/ن.

ففي حين تستصعب المجتمعات التي تعيش في ظروف القهر تشكيل مواقف أكثر تقبلاً بالعموم، وتجاه التعددية الجنسية والجنسوية بالخصوص، فإنّ تقبل الوالدين في العائلة الفلسطينية لتجارب الأولاد الجنسية والجنسوية المختلفة، يُعتبر تحدياً ليس بالسهل. فعملياً، قبول الوالدين قبولاً مباشراً لهوية ولدهما الجنسية قد يُحدث "نشازاً" (Dissonance)⁴⁸ أو توتراً بين موقف هذين الأُمّ والأب وموقف المجتمع من هذه القضية وطريقة تربية هذه العائلة لأولادها. والمرء بحاجة إلى تقليل هذا النشاز أو التوتّر إلى حدّ يستطيع فيه العيش مع تركيب الموقف، وقد يساعده في هذا تحليل وفهم هذا التركيب وأوجهه المختلفة كما أسلفنا.

يبدّ أنّ هؤلاء الأهل هم/ن نتاج للمجتمع المقهور ذاته. وبحسب حجازي، "إنّ التوازن الضروريّ بين الانفعال والوجدان وبين النطق والعقل ولا يتيسر لإنسان العالم التخلف"، ذلك ليس لأسباب جينية بل كنتاج للبنية المجتمعية الجامدة المتخلفة وليدة القهر وانعدام مشاعر الأمن وطغيان مشاعر الدونية. وإنّ عوامل القهر هذه تُصعب على الأداء المنطقيّ للذهن، نظراً لما تولّده من قلق مُفرط من شأنه، إذا ازداد واستمرّ لفترات ممتدة، أن يشلّ القدرة على الحكم الموضوعي⁴⁹.

وإنّ فرط الانفعالات المتراكم هذا يؤجج عواطف أولية قد تبلغ حدّ النكوص إلى الأنوية (Egocentrism) الذي يؤدي إلى انهيار القدرة على "التجريد"، الأمر الذي قد يجعل ميل الأهل إلى التحفظ في قراراتهم/ن التي قد تبدو "أنايية"، أو قد يبدو أنّ دافعها هو المحافظة على صورتهم/ن الذاتية، بالإضافة إلى عدم قدرتهم على إعطاء الاحتضان والاحتواء للأولاد (انظر/ي الفصل الثاني) - أكثر إمكاناً لفهم.

في حين أنّ انهيار القدرة على التجريد يُعتبر إحدى أهمّ وأرق (أي أكثر تركيباً) الآليات الذهنية للتكيف مع الواقع والسيطرة عليه، فإنّ العجز الناجم عن ظروف القهر، وكذلك فرط الانفعالات المذكور، يخلق توتراً داخلياً صعب الاحتمال، يدفع بالنفس إلى التخلّص من هذا الضغط الناجم، والذي غالباً ما تعتمد النفس أكثر الطرق بدائية لتصرفه وصبّه إلى الخارج في عملية تسمى الإسقاط (projection).

44 حجازي، مصطفى. 1985. التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت: المركز الثقافي العربي. ص 60-74.

45 حجازي، مصطفى. 1985. التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت: المركز الثقافي العربي.

46 Feick, David L., and Frederick Rhodewalt. 1997. The Double-Edged Sword of Self-Handicapping: Discounting, Augmentation, and the Protection and Enhancement of Self-Esteem. *Motivation and Emotion* 21 (2): 147-63.

<https://doi.org/10.1023/a:1024434600296>.

47 حجازي، مصطفى. 1985. التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت: المركز الثقافي العربي. ص 70.

48 Festinger, Leon. 1962. "Cognitive Dissonance." *Scientific American* 207 (4): 93-106.

<https://doi.org/10.1038/scientificamerican106293>.

49 حجازي، مصطفى. 1985. التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور. بيروت: المركز الثقافي العربي. ص 71.



الفصل الرابع:

أنماط التفاعل التي ظهرت في العائلة الفلسطينية

يطرح نموذج الضغط الأسريّ العوامل التي تؤثر على تفاعل العائلة بالعموم مع الأحداث الضاغطة، ويرى انطباق هذه العوامل على تفاعل العائلة مع حدث معرفة العائلة بهويّة ولدها الجنسيّة المثليّة أو الثنائيّة، ويطرح أنّ هذا التفاعل يتحدّد من خلال: (1) الموارد الأسريّة المتوافرة أو للطوّرة لدى العائلة عمومًا لحلّ المشاكل أو مواجهة الأحداث الضاغطة؛ (2) المعاني التي تعطيها الأسرة للحدث الضاغط؛ (3) مراكمة الأحداث الضاغطة: كترامن أو تعاقب حصول حدث المعرفة بشأن الهويّة الجنسيّة والجنديّة لولد هذه الأسرة مع حصول حدثٍ أو أحداثٍ أخرى كان على العائلة التعامل معها⁵³.

في حين يعرض حجازي، من خلال نمودجه حول مقوّمات الصّحة النفسيّة للأسرة، المحاور التالية التي تؤثر على تعامل العائلة مع الأحداث الصادمة أو التحديّات، وهي: (1) البنيويّة: التماسك العاطفيّ بين الأفراد الذي يوفّر الدعم والساندة؛ (2) الوظيفي: وضوح في دور الأفراد، وقدرتهم على الأداء، ودور العائلة مجتمعة في التغلّب على التحديّات؛ (3) انتمائي: يتركز في الأساس بعلاقة العائلة بالمجتمع، أي مدى قبولها ومشاركتها في المجتمع؛ (4) نمائي: التطوّر والنموّ في الموارد والمؤهلات. نذكر بما أسلفنا ذكره في الفصل الأوّل: يطرح حجازي أنّ التوازن بين هذه المحاور يساعد العائلة على تحطّي الأزمات بشكل صحيّ يحافظ على سلامة وترابط الأسرة⁵⁴.

أنماط تفاعل وحدة الأسرة في المجتمع الفلسطيني كما ظهرت في البحث:

الموارد الأسريّة المتوافرة أو للطوّرة لدى العائلة عمومًا لحلّ المشاكل أو مواجهة الأحداث الضاغطة
أسهمت عوامل متنوّعة وسهّلت وصول الأمّهات للتقبّل، مثل وجود صديقات وأصدقاء داعمين ومشجعين لها أو للفكرة والذين يُبدون مواقف مُتقبّلة للتعدّديّة الجنسيّة والجنديّة، الأمر الذي قد يبدو بسيطًا، إلا أنّه يُشير إلى حاجة هؤلاء الأمّهات لتقليل التناقض بينهنّ وبين بنّتهنّ ومجتمعهنّ، وذلك من خلال وجود من يتفقون على أنّ التعدّديّة الجنسيّة والجنديّة هي ليست بالأمر المرفوض، ممّا يُعطي شرعيّة لتجارب أولادهنّ ولا ينفيا عليهنّ (للتزيد بشأن هذه الجزئيّة، انظري في الفصل القادم).

وكما أنّ نقص المعرفة والموارد صعّب الوصول إلى هذه المرحلة كما ذكرنا، أسهم توافرها في تسهيل السيرورة. توسيع الأمّهات لقراءتهنّ، وانكشافهنّ أكثر على قضايا التعدّديّة الجنسيّة والجنديّة من خلال الوسائط الإعلاميّة المختلفة، ساعدهنّ ويساعدهنّ -على حدّ تعبير اثنتين منهن- على الإدراك أنّ المثليّة الجنسيّة وفكرة التعدّديّة الجنسيّة والجنديّة هي أمرٌ موجودٌ وقائمٌ ولا يمكن تغييره.

ومن أبرز العوامل التي أسهمت في التقبّل كان استقلال العائلة مادّيًا الذي أسهم في استقلالها معنويًا،

بعد أن حاولنا من خلال الفصلين السابقين تحليل وفهم أشكال تفاعل الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسيّة وجنديّة مختلفة، وتفاعل أهلهم/نّ -وعلى وجه التحديد الأمّهات-، نعرض في الفصل التالي تحليلًا لأنماط تفاعل العائلات كوحدة واحدة، مع تجارب أولادها الجنسيّة والجنديّة المختلفة. ونتطرق إلى مظاهر ميّزت تفاعل العائلة؛ كتقسيم الأدوار في هذه الوحدة، مسار التفاعل المميّز وطرح تحليل لعوامل حدوثه.

كما أسلفنا في الحديث عن تفاعل الأهل، مسار تشكّل المواقف لدى الشعوب المقهورة، لا يختلف كثير اختلاف عن نظيره لدى الأهل في المجتمعات المقهورة، إن كان موضوعه قضية التعدّديّة الجنسيّة والجنديّة أو أيّ موضوع آخر يتطلّب جهدًا في كسر العوائق والإقصاء الاجتماعيّ حوله. وكذلك هي العائلات في نمط تفاعلها مع الأحداث المؤثّرة، إذ إنّ آليّة تفاعلها مع أحداث مؤثّرة بشكل عامّ تعكس وتؤثّر على تفاعل العائلة مع قضايا التعدّديّة الجنسيّة والجنديّة وليس بمعزلٍ عنها، وهذا ما يطرحه عمليًا نموذج "الضغط الأسري" (Family Stress Perspective)^{51 50} وأيضًا نموذج "مقوّمات الصّحة النفسيّة للأسرة" الذي طرحه مصطفى حجازي وأتينا على ذكره في الفصل الأوّل (الخلفيّة النظرية)⁵².

وبحسب ما يحتمل تحليل المعطيات التي وردت في المقابلات حول تفاعل العائلات مع موضوع التعدّديّة الجنسيّة والجنديّة في داخلها، وجدنا أنّ كلا النموذجين يخدم تفسير أنماط تفاعل العائلات. ففي حين يظهر النموذج الذي قدّمه حجازي أكثر تفصيلًا، نرى في نموذج "الضغط الأسري" على تفاعل العائلة مع موضوع الهويّة الجنسيّة والجنديّة لولدها تحديداً ميّزة لا غنى عنها.

كذلك لاحظنا تكاملًا يُقدّمه دمج النموذجين: فكّما كانت مقوّمات الصّحة النفسيّة للأسرة، والتي طرحها حجازي، أكثر وضوحًا وتوازنًا، ازدادت الإمكانية أن تتعامل العائلة مع الحدث الضاغط تعاملًا أكثر توازنًا. سنذكر باقتضابٍ كلًّا من النموذجين، وسنعرض في ما يلي أنماط تفاعل العائلة كوحدة واحدة، من خلال ما يخدم هذا العرض من أجزاءٍ من النموذجين السابقين:

50 Hill, Reuben. 1949. *Families under Stress*. New York: Harper.

51 Rosino, Michael. 2016. "ABC-X Model of Family Stress and Coping." *Encyclopedia of Family Studies*, March, 1-6.

<https://doi.org/10.1002/9781119085621.wbefs313>.

53 Willoughby, Brian L. B., Nathan D. Doty, and Neena M. Malik. 2008. "Parental Reactions to Their Child's Sexual Orientation Disclosure: A Family Stress Perspective." *Parenting 8 (1)*: 70-91.

<https://doi.org/10.1080/15295190701830680/>.

54 حجازي، مصطفى. 2015. الأسرة وصحتها النفسيّة - المقوّمات، الديناميات، العمليّات. بيروت: المركز الثقافي العربي.

52 حجازي، مصطفى. 2015. الأسرة وصحتها النفسيّة - المقوّمات، الديناميات، العمليّات. بيروت: المركز الثقافي العربي.

واتخاذها موقفًا مستقلًا عن موقف العائلة الممتدة دون الرجوع إليها، وهو موقف مُتقبّل لهويّة ولدها الجنسيّة المثليّة، وهذا بحسب ما أفادت به إحدى الأمّهات عن تجربتها الخاصّة وتجربة عائلتها، الأمر الذي سنتوسّع في فهمه في الفصل الرابع الذي يتناول تعامل العائلة كوحدة، وتحديدًا في الجزء الخاصّ بمقوّم الانتماء.

عامل المعاني التي تعطيها الأسرة للحدث الضاغط

تقبّل العائلات لميول الأبناء الجنسيّة و/أو هويّتهم/نّ الجندريّة اتّخذ أشكالًا مختلفة في العائلات المختلفة. وقد برز عامل المعاني على نحو لافت، ولا سيّما حين تقاطع مع محور الانتماء الذي سنتناوله خلال هذا الفصل. فكّلما كانت المعاني التي أعطتها العائلات لتجارب ولدها الجنسيّة والجندريّة معاني مرتبطة بالتعريفات السائدة مجتمعيًا، كان الرفض للأمر أكثر وضوحًا ولو في بادئ الأمر، لأنّ هذا يشكّل نشأًا ويمسّ في محور الانتماء كما أسلفنا. أمّا في الحالات والمراحل التي أعطت فيها العائلات معنى ذاتيًا للموضوع وحاولت الانفصال عن المعنى السائد مجتمعيًا، فقد زاد التقبّل.

فلقد أعطت بعض العائلات الأمر "معنى يشير إلى أن هذا الأمر طبيعي وعادي، وجرى تقبّله دون أن يوظّر كـ "قضية" في الأسرة. شاركتنا أمّ في أنّ التوجّه لابنتها المثليّة ولشريكاتها اللاتي يحضرن إلى البيت مطابق للتوجّه لأولادها الغيريين، واتّخذت توجّهًا ساخرًا من الموضوع كإشارة إلى أنّ عائلتها فعلاً لا تشعر أنّ موضوع مثليّة ابنتها هو "قضية". أمّ أخرى أصرت على أنّه لم يكن هناك "تعامل" مع موضوع مثليّة ولدها لأنّه لم يكن هناك "موضوع"، وشبهت مشاركة ابنها لميوله الجنسيّة بمشاركته حول "ماذا أكل في يوم ما". حسب رأيها، كلّ شخص حرّ في ما يفعله في السرير. وأضافت أنّها "لا تدخل تحت شراشف الناس". وقد أدّى هذا المعنى المختلف الذي أعطته عائلته للحدث لثلاً تحتاج أو تطلب مساعدة من مصادر خارج الأسرة. لكن في حالات أخرى، حين أعطت العائلة حدث الإفصاح أو المشاركة أو اكتشاف هويّة الولد الجنسيّة معنى يرتبط بالتعريفات المجتمعيّة السائدة بكونه أمرًا جليلاً أو فقداناً أو قضية مرفوضة، كان التقبّل أصعب واستغرق سيرورة أطول وأشقّ.

مراكمّة الأحداث الضاغطة

كترامن أو تعاقب حصول حدث المعرفة حول الهويّة الجنسيّة والجندريّة لولد هذه الأسرة مع حصول حدثٍ أو أحداثٍ أخرى، وجبّ على العائلة التعامل معها. إنّ الافتراض وراء هذا المحور أنّ نسبةً لأنّ مواجهة عائلة لعدّة تحديات في آنٍ قد يُضعف من قدرتها على حلّ المشكلات ومواجهة التحديات بصورة سليمة. وقد ظهر هذا فعلاً في البحث عندما كان لدى العائلات تحدّي اقتصاديٍّ، أو تعلّق شديدٍ بالعائلة الممتدة وبقياسها أخرى متعلّقة بها. وبرز أثر هذا الموضوع أيضًا عندما كان أكثر من ولد في العائلة يعيشون توجّهات جنسيّة وجندرية مختلفة. تحدّث أحدهم عن صعوبة التصريح للعائلة بشأن هويّته الجنسيّة لأنّ أخاه كان قد صرّح هو كذلك سابقاً حول ذلك، وكانت العائلة لا زالت تحاول التعاطي مع التوتّر الذي خلّفه الأمر. وقد شاركنا هذا الشخص في أنّه شعر أنّ المسؤوليّة باتت أكبر. بالنسبة له جمل إخبار أهله بات عبئًا أكبر.

ظهر أمر آخر من خلال المقابلات، هو تعاقب حدث معرفة إحدى العائلات بموضوع هويّة ولدها الجنسيّة المثليّة بحدث آخر صعب. فعلى سبيل المثال، قوبل موضوع الهويّة الجنسيّة المختلفة بالرفض بدايةً، حتّى واجهت الأسرة مشاكل صحيّة صعبة لدى أحد أفرادها. هذا التعاقب "حجم" قضية مثليّة هذا الشخص في نظر العائلة وشرّع المسار يميل صوب التقبّل مع مرور الزمن.

المقوّم البيوي: تماسك عاطفيّ وتوفير دعم ومساندة

سهّل وجود دعم واحترام متبادل في العائلة مصارحة الأبناء للأهل وتعامل العائلة أجمع مع الموضوع؛ فقد شاركت الأمّهات آليات وإستراتيجيات طوّرتها العائلة للتعامل مع الأزمات -سواء أكان ذلك ارتباطًا بموضوع التجربة الجنسيّة والجندريّة للأولاد، أم كان بشكلٍ عامّ-، إذ بنّت بعض العائلات نمطًا متبادلًا من التعامل الحساس والداعم والذي يشجّع على المشاركة والمصارحة والنقاش دون وجود أحكام أو رفض أو حتّى إخراج، بالإضافة إلى الحساسيّة تجاه صعوبات وحاجات كلّ طرف. على سبيل المثال، شاركت إحدى الأمّهات تجنّب العائلة الخوض في نقاشات هامة في حال كان أحد أطراف النقاش في حالة غضب، وإرجاءه إلى وقتٍ آخر.

أسهمت هذه الثقة والمحبة التي بنتها العائلة في بناء مناعة أو حصانة حيال تحديات المجتمع، وفي تفكيك الكثير من الصور النمطيّة والأفكار المغلوطة عن بعض الأشخاص وتجاوزها.

المقوّم الوظيفي: وضوح دور الأفراد وقدرتهم على الأداء ودور العائلة في التغلّب على التحديات

بحكم أنّ قرار إفشاء أو إبلاغ أحد الأبناء الذين يعيشون تجارب جنسيّة وجندريّة مختلفة لعائلاتهم كان في البداية أمام الوالدين، أو أمام أحدهما على الأقلّ، فإنّ المرحلة الأولى لتعامل العائلة مع الموضوع كانت تحديداً بين يديّ الأهل. فبحسب وصف غالبية الأمّهات، وبحكم دور الأهل في الضبط والتنشئة في العائلة كوحدة، كانت لديهم المساحة أوّلًا لعيش المسار التفاعليّ الذي عرضناه سابقًا في الفصل الثالث، قبل اتّخاذ قراراتٍ تضمّ أو تشمل تفاعلهم مع الموضوع مع العائلة ككلّ، الأمر الذي يُعتبر من ميّزات أنماط تفاعل وحدة العائلة؛ فمن حيث المقوّم الوظيفي للعائلة، للوالدين في هذه الوحدة وظيفة مسؤوليّة القرار بشأن من سيجري إطلاعه على الأمر ومن لن يجري إطلاعه عليه.

في إحدى الحالات، أفادت أمّ بأنّها تترك لابنتها حرّيّة الخيار بشأن من يمكنه المعرفة ومن لا يمكنه ذلك، ولكن حتّى في هذه الحالة وظيفته اتّخاذ القرار بمنح الابنة صلاحية الإخبار كانت للأهل.

مقوّم الانتماء: علاقة العائلة بالمجتمع، مدى قبولها ومشاركتها به

يشكّل مقوّم الانتماء محورًا أساسيًا في تحبّطات العائلة الفلسطينيّة في مسار التفاعل والتقبّل لهويّة ولدها الجنسيّة. وما يُقصد بالانتماء هو انتماء العائلة إلى المجتمع والتوافق معه، وقد تحدّث عن ذلك حجازي في محاور صحّة الأسرة النفسية. الافتراض الذي رافق العائلات، في هذا الصدد، هو أنّ إعلان تجربة جنسيّة وجندريّة مختلفة لولدها هو أمر سيحتم وجود مواجهة وسجال سياترتب على العائلة خوضهما مع المجتمع، وهو ما يتطلّب جهوزيّة العائلة لخوض مسار المواجهة هذا، بما يتضمّنه تغليب التقبّل والاحتواء على الحاجة إلى عدم التعارض مع المجتمع أو العكس.

مواجهة العائلة المصغرة مع البلد أو مع العائلة الأكبر.

وكان من الطرق الأخرى للتعامل مع النشاط الحاصل بين تقبل الولد ومقوم الانتماء للمجتمع خلق سرديات "مقبولة" أو شرعية مجتمعية (نحو: الولد "لا يرغب في الزواج")، أو أن يُعزى الاختلاف إلى طبيعة الشخصية أو الاهتمام المهني أو التعليمي (نحو: "هي بتحب تتعلم"; "هو بيدرس فن")، بالإضافة إلى إستراتيجية بناء مساحات متقبلة وداعمة حول الأسرة وتتعامل مع الاختلاف الجنسي والجندي باحترام.

في بعض الحالات الأخرى، اختارت العائلات المواجهة، والوقوف "جبهة واحدة" أمام أيّ تساؤل أو مواجهة من المجتمع، والإجابة عن الأسئلة والتعليقات التي تتعرض لها؛ وهو ما يُقابل بالصمت أو بالدعم، أو حتى بناء تحالفات أو تكتلات داخل العائلة نفسها - وهو الأمر الذي أشار إليه الأخصائيون/ات، كأن يعرف أفراد العائلة أجمع باستثناء أخ واحد بسبب معرفتهم لوقفه من الموضوع، وبالتالي يجري إقصاؤه من دائرة التعامل العائلي مع الأمر، أو كأن تكون ثقة فروق بين تعامل الأم وتعامل الأب، حيث كان التعامل من جهة الأمّ أصعب - في عينة بحثنا - لتراقب بصدمة وتذنب ذاتي وبحث عن أسباب وتساؤلات حول الدين.

في تحليل عمل المنظومات، غالبًا ما تظهر التحالفات والتكتلات هذه كآلية تعامل عند الشعور بتهديد ويكون هدفها الحماية: حماية المكانة أو حماية الأمن أو حماية الممتلكات وغير ذلك. وبحسب تعبير الأمّ في إحدى هذه الحالات، جرى إخفاء الموضوع عن الأخ للخوف من ردّة فعله تجاهه. وهذا الخوف أو التهديد، الذي مصدره أحد أولاد العائلة، يكشف احتمال وجود صعوبة في ضبط العائلة لسلوك أو ردّات فعل أولادها، فباتت هنالك حاجة إلى توفير الحماية لأحد أولادها من أخيه، وللأخير (الأخ هذا) من ذاته ومن قدرته على التسبب في الأذى.

مقوم الإنماء: التطور والنمو في الموارد والمؤهلات

استقلال الأسرة اقتصاديًا عن العائلة الممتدة كان عاملاً مهمًا، بحسب توصيف إحدى الأمّات، في تقبل العائلة وتماسكها أمام موضوع الهوية الجنسية المثلية لأحد الأولاد، وأفادت بأنّ عدم تعلقها وتعلق أولادها الاقتصادي بعائلتهم/نّ الموسعة يضعف من سلطة هذه الأخيرة، ومن تأثير ملاحظاتها ونقدتها للوجه لهم، ومن قدرتها على التدخل في شؤونهم.

وفي سياق أوسع، يُعسر حجازي هذه الظاهرة في تحليله لهدر الإنسان العربي، وفقًا لنظرية "السيوف والنسف"⁵⁵. ففي سياق ظروف الهدر - التي يحكم فيها الفساد وتغليب مصالح من في الحكم، وتحالفاتهم المحليّة والعائليّة تُشكّل للحفاظ على استقرارهم - تُهدر قيمة الإنسان كوجود وكإنتاج فكري، وتُتخذ آليات من الثواب والعقاب لصياغة وهندسة ولاته وتبعيته. فحين يقوم بقول أو فعل ما

فالقصد هنا هو فقدان العائلة كوحدة لتوافقها مع المجتمع، مما قد يضرب بانتمائها إليه، الأمر الذي يضع العائلة إزاء معضلة وتوتر في كلتا الحالتين: تقبل الولد ومواجهة المجتمع، أو العكس من ذلك. فعمليًا، إذا قبلت العائلة بهويّة ولدها الجنسيّة والجنديّة، فسيفصل "نشاز" (dissonance) أو توتر بين إرادة هذه العائلة والمجتمع، وهو ما يضرب بانتمائها للمجتمع؛ بينما إذا رفضت هويّة ولدها، فذلك يعني حدوث نشاز وتوتر داخلي بين أفراد هذه المنظومة، مما قد يضرب بمحور أدائها الوظيفي الذي ذكر أعلاه. في الحالتين، تتعامل العائلة مع فقدانها للتوازن، وتحتاج بعده لإعادة ترتيب أوقافها، وأن تبذل جهدًا لاسترجاع توازنها هذا مع تقليص حجم النشاز. كُنّا قد عرضنا، في فصل تعامل الأهل، عوامل وجود هذا النشاز في الأصل وبهذه الشدّة في المجتمعات المقهورة (العربيّة والفلسطينيّة منها)، وحميّة تعامل العائلة مع هذا النشاز.

معظم الصعوبات في مسار التقبل قد عزّتها العائلات -والأمّات تحديدًا- إلى التناقض الذي يولده قبول الموضوع لانتماء العائلة للمجتمع وأعرافه، كالدين على سبيل المثال. فقد أفادت الأمّات في المقابلات أنّهنّ، من أجل قبول الفكرة، احتجن بدايةً للوصول إلى "القناعة أنّه لا تناقض بين تديهنّ وتقبّلهنّ لأولادهنّ/بناتهنّ المثليّين/ات؛ وذلك لأنّ الدين الإسلاميّ هو دين تسامح"، وكذلك "لأنّ إيمان الشخص لا يخصّ سواه، ولا شرعية لفرض شخص ما إيمانه على الآخرين". فقد ذكرت بعض الأمّات على نحو واضح التناقض الذي شعرن به في دورهنّ في العائلة بين رفضهنّ لمثلية ابنهنّ/ابنتهنّ تماشيًا مع رغبة المجتمع، ورغبتهنّ في أن يكون أولادهنّ سعداء في حياتهم/نّ.

المقصود أنّنا لاحظنا وجود نمطين من القبول: الأوّل مشروط ومقيّد بعدم معرفة المجتمع أو العائلة الموسعة، أي أن يبقى الأمر "شأنًا عائليًا داخليًا" وبالتالي عدم تهديد عنصر الانتماء لدى العائلة. والنمط الآخر غير مقيّد ولا مشروط، ويتيح إمكانية التعبير عن هذه التجربة خارج مساحة العائلة، ويناقشها في العلن. معنى ذلك أنّ تجربة الولد/البنات الجنسيّة والجنديّة ليست شأنًا خاصًا بالأولاد وهويتهنّ/م، بل ترتبط بهويّة العائلة ككلّ؛ وبالتالي فقرار الإفصاح للعائلة الممتدة أو للمجتمع، أو عدم الإفصاح، يكون مسؤوليّة وقرارًا مشتركًا بين الأهل والأولاد.

من عينة البحث، وجدنا أن بعض العائلات لجأت بصورة واضحة إلى الفصل بين داخل البيت وخارجه، حيث كان لـ "داخل البيت" (أي العائلة النووية المصغرة) الأولوية في صنع القرار، وذلك -على نحو ما أشارت إحدى الأمّات- أنّ أفراد العائلة المصغرة يحترمون ويحتوون تجربة أحد الأولاد الجنسيّة والجنديّة، لكن ضمن اتفاق على ألا يتسرّب الأمر إلى خارج العائلة المصغرة. وذلك ما دفع بإحدى الأمّات إلى أن تمتنع عن الخوض في أيّ نقاشات مع العائلة الكبيرة بشأن موضوع المثلية، أو التعدديّة الجنسيّة والجنديّة بشكل عامّ.

كذلك كان من بين آليات التعامل مع التهديد على مقوم الانتماء خلق ثنائية بين "البلد" والمدينة، أي بين القرية أو البلدة التي تعيش فيها أو منها العائلة من جهة، والمدينة من جهة أخرى، على اعتبار أنّ الأخيرة (المدينة) تتيح مساحة أرحب لهذه التجارب، وتوفّر راحة أكثر للولد، وتبعد التوتر أو تقلل من حدّة

يؤيد من هم في السيطرة والحكم، سيحصل على المناسف؛ أما إن تجرأ وعارضهم أو عارض مصالحهم، فسُخِر من المنسف وسيُلاحق بدلاً من ذلك بالسيف. وفي هذا السياق تظهر ثقافة الولاء بدلاً من ثقافة الإنجاز، وتُصبح قيمة الانسان في من يتبع حتى يملك، لا في قيمته وما يُنجز، مما يُسهم في إنتاج التبعية العمياء وأخلاق الطاعة والعلائق الطفيلية وغرسها في نمط سريان الأمور في المجتمع على أنها أمر عادي.

وغالبًا يأتي هذا الإسقاط على الأمور أو الأشخاص الذين يُعتبرون الأكثر ضعفًا أو استكانةً منّا، وفي سياق العائلات غالبًا ما يكون هؤلاء هم الأطفال أو الأولاد أو النساء.

إدًا التمرکز في الأنا الذي قد يميّز خيارات الأهل حين يختارون قمع هويّة أولادهم/نّ وتغليب موقف المجتمع على حساب تطوّر أولادهم/نّ أو تحقيقهم لذواتهم، يبدو الآن أكثر وضوحًا. فنراهم/نّ يميلون إلى إغلاق الأمور وجعل حلّها "بعيدًا عن عيون الناس" وداخل البيت فقط؛ وذلك لأنّ خروجها من البيت سوف يضع صورة الأهل الذاتية في مأزق، وهم أصلًا يرون تهديدات خارجية كبيرة جدًّا تجعلهم يتمركزون ذاتيًّا.

الفصل الخامس:

البحث في سياق عمل القوس:
نظرة في الوجود والسعي للمنشود



الفصل الخامس:

البحث في سياق عمل القوس: نظرة في الوجود والسعي للمنشود

على نحو ما ذكرنا في المقدمة، يأتي هذا البحث ضمن سياق واسع من عمل مؤسسة القوس وإنتاجها المعرفي والثقافي حول قضايا التعددية الجنسية والجندرية. وبالدرجة نفسها التي يهدف فيها هذا البحث إلى توفير معرفة مسؤولة وموثوقة للمجتمع، فإنه ينبغي كذلك أن يعطينا في مؤسسة القوس صورة ومراجعة وأفكارًا بشأن ما قمنا وسنقوم به من عمل حول قضايا التعددية الجنسية والجندرية، وبالتحديد حول أنماط تفاعل الفرد والعائلة الفلسطينية بخصوص هذا الموضوع.

أعطتنا سيرورة العمل على البحث، والنتائج الأخيرة التي خلص إليها، فرصةً للتبصر والتأمل في عمل القوس في الجمل، واستنتاجات هامة حول مواضيع وآليات عمل لا بد من الاستمرار بها في سبيل تعميق النقاش بشأن قضايا التعددية الجنسية والجندرية في المجتمع الفلسطيني، وبشأن تعامل أكثر احتواءً واحترامًا من العائلة الفلسطينية مع الموضوع.

بمفاهيم بورتون، يرمي النقاش الذي نحاول فتحه أو إثارته في المجتمع على نحو مستمر - في أساس ما يرمي - إلى الانتقال نحو واقع تحرري من القمع، وذلك من خلال تغيير شيفرات الوعي المشوه التي لدينا حاليًا، واستبدالها بشيفرات وعي جديدة نستطيع من خلالها إدراك أنفسنا كجماعة من جديد: من نحن؟ وما الذي نستطيع القيام به فعليًا؟⁵⁶ هذا الوعي الذي تحلله تشوية وتدويت لقيم لا تُشبهنا بفعل القمع الممتد، مباشرًا كان أم غير مباشر، هو ما تسعى مجالات عملنا المختلفة لتحقيقه؛ سواء أكانت مشاريع دعم وتقديم خدمات، أم تغييرًا سياسيًا، أم مناصرةً وتشبيكًا مجتمعيًا، أم إنتاجًا معرفيًا وثقافيًا، وغيرها.

من المجالات التي تعمل فيها القوس، في السنوات الأخيرة، العمل مع الإعلام المحلي الفلسطيني لإظهار وفتح النقاش بشأن قضايا التعددية الجنسية والجندرية، وذلك لإدراكنا الدور الكبير الذي يقوم به الإعلام، وقدرته في تشكيل وعي المجتمع عامّة، وأثر ذلك في خلق أنماط من الضبط المجتمعي تحصر آلا تسبب الضرر والأذى لفئة من المجتمع.

برز في البحث، على نحو جلي، دور الإعلام في التأثير على الأهمّاء والأشخاص الذين يعيشون توجهات

56 Burton, Mark. 2012. "Liberation Psychology: a constructive critical praxis". Extended version of keynote talk given at the Third Critical Psychology Symposium, Diyarbakir, Turkey, 1516- September.

جنسية وجندرية مختلفة؛ وذلك أنّ المواد الإعلامية هي أكثر متاحة ووصولاً للأهمّاء من الكتب العلمية أو المصادر البحثية المكتوبة باللغات المختلفة.

فعلى صعيد الأهمّاء، شكّل الإعلام مرجعًا لهم في تشكيل آرائهم وأسهم - حين كان التعاطي مع هذه القضايا إيجابيًا - في تقبلهم لتجارب الأولاد الجنسية والجندرية المختلفة. ساعدتهم في الإجابة عن تساؤلاتهم الأولية بشأن مشاعرهم وذواتهم ورافقت تجربتهم في استكشاف جنسائهم، كما أسهمت - في غالب الأحيان - في التغلب على شعورهم بالوحدة، وذلك لقدرة هذه المواد على تيسير فهم الذات وما يختلجها، الأمر الذي يقدم نوعًا من الاحتواء المفقود بتجربتهم.

في المقابل، لاحظنا أنه حين احتوت الضامين الإعلامية - وتحديدًا على مواقع التواصل الاجتماعي - معلومات مغلوطة وتغطيات عنيفة تجاه الأشخاص الذين يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة، كان لذلك دور سلبي جدًّا في تجارب الأشخاص وصفه أحد أفراد العينة بـ "مرعب".

قبل ثلاث سنوات، أقدمنا على خطوة هامة تمثّلت في إنتاج "الدليل الصحفي لتغطية قضايا التعددية الجنسية والجندرية"⁵⁷، وبدء العمل مع طواقم إعلام فلسطينية على نحو مباشر. وعلى الرغم من الصعوبات الكبيرة التي واجهتنا، لسنا تغييرًا ملحوظًا⁵⁸ في التغطية والتعاطي مع هذه القضايا، كجزء من التغيير المجتمعي⁵⁹ الأكبر في التعاطي مع الموضوع. وجاء هذا البحث لينتهنا إلى ضرورة استمرار العمل مع الإعلام، والدفع إلى خلق مساحات شعبية ومتاحة لتغطية قضايا التعددية الجنسية والجندرية بشكل مسؤول وواعٍ.

من مجالات العمل الأخرى، التي تعمل عليها القوس منذ سنوات، توفير مساحات لأشخاص يعيشون توجهات جنسية وجندرية مختلفة، لسرد تجاربهم/نّ ومشاركتها وفهمها ضمن التجربة الجمعية الأكبر، وبالتالي النظر إليها بصورة سياسية عميقة غير مجتزأة عن المنظومة التي نعيشها ولا تُختزل بالفرد فقط. من هذه المساحات المجموعات الشبابية "أنا وجنسائتي والمجتمع؛ استكشاف، معرفة، وتأثير"⁶⁰، التي تُعقد على مدار العام في أكثر من منطقة في فلسطين، وتشكّل إطارًا للدعم والاحتواء ولتأمل الشخص في تجاربه⁶¹.

57 انظري في موقع القوس: "الدليل الصحفي لتغطية قضايا التعددية الجنسية والجندرية".

58 حول التغرّي في تغطية الإعلام الفلسطيني قضايا التعددية الجنسية والجندرية، شاهد/ي مداخلة القوس في لقاء "نقاشات كويرية في النقطة: الإعلام والسلطة والمجتمع" على موقع القوس، الرابط: <https://bit.ly/3iGpzCu>، أو اقرأ في المقال "الإعلام الفلسطيني وقضايا التعددية الجنسية والجندرية... تحدي تحويل "الهامشي" إلى نقاش مجتمعي" على موقع رصيف22، الرابط: <https://bit.ly/2F6YaMk>.

59 حول التغرّات المجتمعية في التعامل مع قضايا التعددية الجنسية والجندرية، اقرأ/ي تقرير "سكاكين كثيرة في مطابخ هذه المدينة: حوار الطرشان" بقضية الثلاثين" على موقع عرب48، الرابط: <https://bit.ly/2F8d1Gt>.

60 انظري على سبيل المثال: <https://bit.ly/3jEFnam>.

61 ليست المجموعات الشبابية "أنا، وجنسائتي، والمجتمع؛ استكشاف، معرفة، وتأثير" هي الإطار الوحيد في القوس لسرد رواية وتجربة الأشخاص وتأييدها. ثمة، على سبيل المثال، الورشات الرقمية "عن سؤال" التي تحاول تناول قضايا ملحة ويومية وتأثيرها على أشخاص يعيشون توجهات جنسية وجندرية مختلفة، وغيرها من الأطر التي توفر مساحة لسرد التجارب ومشاركتها وإن يكن ذلك على نحو مباشر.

برزت في البحث أهمية هذه المساحات، حيث كانت المقابلات البحثية بحد ذاتها مساحة للسرد والتذكر، نظرًا لاعتمادنا فيها المقابلات شبه المفتوحة وترك مساحة حرة لسرد الأشخاص قصصهم/م وتجاربهم/م؛ فآلية السرد هذه بحد ذاتها هي نوع من الدعم للأشخاص في العينة، إذ تساعد على ترتيب الرواية الشخصية بما يشمل ترتيب المشاعر والأفكار تجاه الصدمات والأحداث المختلفة التي رافقتهم (Narrative Method)⁶². وقد تساعد خطوة كهذه على إدراك اتصال التجربة الشخصية هذه بتجارب آخرين، وأن الاشتراك في هذه المقابلة والبحث هو اشتراك في بناء معرفة حول الموضوع ستسهم هي كذلك في مساعدة آخرين يعيشون تجارب شبيهة.

ففي الجوانب العلاجية للرواية، يتحول الأفراد إلى السرد ابتغاء التنقيب وإعادة تقييم الذكريات التي قد تكون مجزأة، أو مبعثرة، أو لا تُحتمل، أو نادرة الظهور إلى السطح قبل سردها. وهناك بالطبع علاقة معقدة بين السرد والوقت والذاكرة لمراجعتنا وتحرير التجربة الماضية التي نقوم بتذكرها. للتوافق مع هويتنا في الحاضر بطريقة ديناميكية، يشكّل السرد تجربة الماضي وفي الوقت نفسه يوفّر طرقًا للأفراد لفهم الماضي. والقصص يجب أن تأخذ بعين الاعتبار سياق روايتها؛ وذلك أنّ رواية القصص تحدث في لحظة تاريخية مع خطاباتها المتداولة وعلاقات القوة السائدة فيها⁶³.

إضافة إلى فعل السرد نفسه احتوت مقابلات البحث على تدخّل وسؤال من المستمع (الباحثات في هذه الحالة) حول الطرق التي اتّخذها الأشخاص في التعامل مع المواقف المختلفة، انطلاقًا من فرضية وجود فاعلية وقدرة للأشخاص على المواجهة، وهو ما يخرجهم/م من موقع الضحية المطلق أو استلاب الفعل؛ فالأشخاص أيضًا صانعون للأحداث ومشاركون فيها. وبالطبع ذاك كلّ دون الإغفال عن الصعوبات المنهجية والحساسية العالية التي وضحناها في قسم المنهجية.

وإضافة إلى تجربة المقابلات نفسها في البحث، من أهم الاستخلاصات في البحث ضرورة الحفاظ على هذه المساحات الداعمة وتوسيعها، وتوظيف آليات من علم النفس الروائيّ فيها؛ وذلك لدورها في تشكيل الهويّات وفق مفهوم يوفّر ديفيز التي تحدّثت عن الدور الأساسي للراويات في بناء الهويّات: "إنّ الهويّات هي الروايات، القصص التي يحكيها الناس لأنفسهم وللآخرين، حول من هم - من يكونون (ومن ليسوا - أي من لا يكونون)". وتضيف أنّ الهويّة سائلة، فهي "دائمًا تنتج نفسها من خلال العمليّات المشتركة للوجود والانتماء، والتوق للانتماء. تنعكس هذه الازدواجية في كثير من الأحيان على سرديات الهويّة."

أضف إلى هذا أنّ لسرد الرواية قدرة كبيرة على التحفيز والتعبئة. في هذا الشأن تقول ريسمان⁶⁴: "يمكن لسرد الروايات أن يحشد الآخرين للعمل من أجل التغيير الاجتماعيّ التقدّميّ. فقد وُلد في القرن

العشرين حركاتٌ تعيّر اجتماعي كبرى متحدية للقمع (بما في ذلك الحقوق المدنية والحركات النسوية)، عندما كان الأفراد يجلسون معًا ويروون قصصًا عن لحظات صغيرة من القمع. فقد أدّت القواسم المشتركة في التجارب المختلفة إلى تكوين جماعة وتمهيد الطريق للعمل الجماعي". كذلك تحدّثت ريسمان عن دور هذه القصص والروايات في تشكيل الحركات الثورية في أمريكا اللاتينية.

أضف إلى ذلك أنّ هذه القدرة على التعبئة متعلّقة بكون تجربة السرد تُتيح التعرّف على الرواية الذاتية، وتمييز أجزائها التي تتبع من الذات والأجزاء التي تتجت بناءً على خطابات ومبانٍ اجتماعية قميّة مهيمنة، وهو ما يوفّر الفرصة لاستبدال هذه الأخيرة بخطابات وعدسات أكثر تحرّرية تدعم التشافي الفرديّ والجمعي⁶⁵. فمن أهم أهداف علم النفس للشعوب المقهورة، وفقًا لمارتين بارو (أحد مؤسسي علم النفس التحرّري)، تكوين وعي نقدي لدى هذه الشعوب من خلاله يجري تفكيك العديد من المسلّمات المجتمعية، وبناء ذاكرة تاريخية جمعيّة تكون قاعدة لتحرّر الشخص من عجزه لتخيّل مستقبل ولممارسة الحياة في الحاضر على نحو كامل⁶⁶.

وبطبيعة الحال، وإلى جانب مجالات العمل التي ذكرناها في هذا الجزء، ندرك أهمية الإنتاج المعرفيّ الفائقة حول قضايا الجنسانية على وجه العموم، وقضايا التعددية الجنسية والجنسانية على وجه الخصوص، في المجتمع الفلسطيني، على أن تعتمد الأبحاث والإنتاجات المعرفية على أصحاب الشأن كمصادر لبناء المعرفة ولاستقاء المعلومات، مثل اعتمادنا في هذا البحث على النظرية المجرّدة (Grounded Theory) منهجية بحثية، كونها منهجية تنحاز إلى المضطهدات/ين وترفع صوتهم/ن، وتتيح أيضًا إمكانية الوصول لمعارف أكثر قرابةً لواقع تجربة الأشخاص المعيشة.

65 White, Michael, and David Epston. 1990. *Narrative Means to Therapeutic Ends*. New York; London: W.W. Norton & Company, Copyr.

66 Martin-Baro, Ignacio. 1996. *Writings for a Liberation Psychology*. Edited by Adrienne Aron and Shawn Corne. London, England: Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.

62 Catherine Kohler Riessman. 2008. *Narrative Methods for the Human Sciences*. Los Angeles: Sage Publications.

63 المصدر نفسه.

64 المصدر نفسه.



استخلاصات نهائية

استخلاصات نهائية

سيرورات داخلية وخارجية: أنماط تفاعل أشخاص

يعيشون تجارب جنسية وجندرية مع تجاربهم/م

يمز الأشخاص الذين يعيشون توجهات جنسية وجندرية مختلفة (الذين شاركوا في البحث) بمحطات مختلفة بعد لقاء أو مصادفة الاختلاف في تجاربهم/م الجنسية والجندرية، تتمثل في الإنكار والإدراك والتصالح. تأتي هذه المحطات على نحو متداخل لا خطي، فيكون الانتقال من محطة إلى أخرى متذبذباً وثنائي الاتجاه، بل دائرياً في بعض الأحيان، وتعيد تشكيله وموضعه أحداث ومواقف على نحو دائم. شكّل مسار مشاركة العائلة للتجربة الجنسية والجندرية للأشخاص الذين شاركوا في البحث، شكّل قضية مفصلية ومهمة في حياتهم/م، وحددت علاقتهم/م بالعائلة وأنماط التواصل معها في السنوات التي تلتها. كانت التجربة الجنسية والجندرية للأولاد بمثابة "سر" أو "عبء" كان من المهمّ لهم/م مشاركته مع العائلة.

عكست تجربة الأشخاص مع عائلاتهم/م العنف المجتمعي الأكبر الذي يواجهونه، إذ كانت غالبية تجارب الأشخاص المشاركين/ات في البحث مع عائلاتهم/ن عنيفة. برز هذا العنف بشكل كبير من خلال غياب مقوّمَي الاحتواء والاحتضان اللذين شكّلا عاملين مركزيين في العلاقة مع العائلة، عززت الشعور بالوحدة أو أطالت حالة الإنكار والتشوُّش الحاصل للأولاد.

أنماط التفاعل لدى الأمهات وتأثيرها على تجربتهم/ن

يتماثل مسار معرفة الأمهات اللواتي شاركن في البحث عن تجارب الأولاد الجنسية والجندرية المختلفة مع مراحل ومسار التعامل العاطفي مع فقدان، وفي الإمكان قراءة تعامل الأمهات مع تجارب الأولاد من وجهة نظر فقدان، لا لكون هذه التجارب بحدّ ذاتها ناقصة أو مفقودة، بل لأنها لا تحقّق توقّعات الأمهات وأمنيتهنّ المصوّغة اجتماعياً. يتمثل مسار فقدان الإنكار والغضب والمساومة والاكتماب وأخيراً التقبّل، ولا يكون الوصول إلى الرحلة الأخيرة (التقبّل) بشكل مطلق أو بلحظة واضحة، بل يقع على طيف من التقبّل والرفض تتحرّك فيه مواقف الأمهات وتعاملهم/ن.

مرّت الأمهات اللواتي شاركن في البحث بمسارات موازية لمسارات أولادهنّ بالتعامل مع تجاربهم/ن الجنسية والجندرية المختلفة؛ أي إنّ مرور الأولاد بمحطات مختلفة رافقه مرور الأمهات بمحطات موازية أثّرت على تعاملهم/ن مع هذه التجربة. كذلك كان ثمة مركزية للعنف المجتمعي في التأثير على تعامل الأمهات - سواء أكان ذلك بتعزيز هذا العنف أو برفض سيطرة أو "حماية" على الأولاد.

تأخذ تجربة فقدان الأمهات اللواتي شاركن في البحث في سياق القهر طبقة إضافية تزيد التعامل مع تجارب الأولاد الجنسية والجندرية صعوبة؛ وذلك نتيجة للبنية المجتمعية الجامدة وليدة القهر وانعدام مشاعر الأمن وطغيان مشاعر الدونية. تؤدّي حالة القهر التي تمنع المجتمعات من تطورها ونموها إلى حالة من العجز وفرط الانفعال، وهو ما يؤدّي إلى إفراز أنماط جامدة من التفكير، كقصور الفكر الجدلي والإفشال الذاتي وعدم القدرة على التفكير المجرد، وذلك يجعل من تقبّل هذا "الفقدان" والتعامل معه أمراً أصعب.

أنماط التفاعل التي ظهرت في العائلة الفلسطينية

يرتبط تفاعل العائلات التي شاركت في البحث مع عيش ولدها لتجربة جنسية أو جندرية مختلفة، يرتبط بتعاملها مع أحداث ضاغطة بشكل عام، وذلك بتأثير وجود الموارد الأسرية المتوافرة أو اللّوارة لدى العائلة لحلّ المشاكل أو للمواجهة الأحداث الضاغطة، بالإضافة إلى المعاني التي تعطيها الأسرة للحدث الضاغط، ومراكمة أحداث ضاغطة مختلفة. كذلك تؤثر مقوّمات الصحة النفسية على تعامل العائلة، وهي: التماسك العاطفي؛ توفير الدعم والمساندة بين أفراد العائلة؛ وضوح دور الأفراد وقدرتهم على الأداء ودور العائلة في التغلّب على التحدّيات؛ علاقة العائلة بالمجتمع ومدى قبولها ومشاركتها فيه؛ التطور والنمو في موارد ومؤهلات العائلة.

تسعى العائلات التي شاركت في البحث، عند إعلان أو مواجهة للمجتمع بشأن عيش أولادها لتجربة جنسية وجندرية مختلفة، إلى ترتيب أوراقها واسترجاع توازنها وتقليل النشاط الحاصل بين تقبّل الأولاد وتجربتهم/م ومعارضة المجتمع ومواجهته. لتقليل هذا النشاط قدر الإمكان، تلجأ العائلات إلى إستراتيجيات مختلفة في التعامل مع أولادها، كخلق ثنائيات في التعامل مع هذه التجارب مثلاً (من قبيل: "داخل المنزل - خارج المنزل"؛ "داخل البلد - خارج البلد")، أو من خلال تبريرات مجتمعية تسبغ على اختلاف الأولاد شرعية (نحو: طبيعة الشخصية؛ توجّه الأولاد المهني والتعليمي).

تجربة الأولاد الجنسية والجندرية المختلفة ليست أمراً شخصياً أو فردياً، بل هي أمر يتعلّق بالعائلة أجمع. فالإفصاح والمشاركة مع المجتمع الأوسع هما أمر في يد العائلة، وهي - في المعتاد - التي تأخذ القرار بشأنه. وهذا انعكاس لدور العائلة وعلاقتها في المجتمع، وكونها الوسيط الأساسي الذي ينقل الرسائل المجتمعية للأولاد.

توصيات وضرورات للعمل

تقوم الإنتاجات الإعلامية والمعرفية بدور كبير في تشكيل المعرفة والآراء حول قضايا التعدّدية الجنسية والجندرية لسدّ الفجوة بشأن الوعي والمعرفة في هذه القضايا، وبالتالي من المهمّ الاستمرار في إنتاج هذه المعرفة والمواد وإتاحتها بصورة شعبية وسلسة.

من الواضح وجود نقص في الإنتاج البحثي الأكاديمي بشأن قضايا التعدّدية الجنسية والجندرية في المجتمع الفلسطيني، وبالتالي من المهمّ سدّ هذه الفجوة من خلال المزيد من الأبحاث التي تتناول هذه

القضايا في سياق القهر الذي نعيش فيه.

برزت في البحث أهمية ومركزية لتوفير مساحات للأشخاص الذين يعيشون توجُّهات جنسيّة وجندريّة مختلفة لسرد قصصهم/م، لما فيها من تواصل مع قصص وتجارب الآخرين؛ وهو ما يخلق إطارًا جمعياً لفهم هذه التجارب وتأثيرها والانطلاق منها نحو التغيير السياسي والاجتماعي.

أظهر البحث ضرورة بداية العمل على خلق مساحات آمنة تتيح للعائلات إمكانية التشارك والتعاون، ابتغاءً تطوير واختيار أنماط مواجهة تتحرّر من القوالب المألوفة، وذلك في سبيل ضمان سلامة العائلة والأفراد وخلق علاقات سليمة مع المجتمع المحيط.



المراجع

- Retrieved from: https://libpsy.org/wp-content/uploads/201210//Liberation-Psychology_-a-constructive-critical-praxis.pdf
- Cass, Vivienne C. 1979. "Homosexual Identity Formation: A Theoretical Model". *Journal of Homosexuality* 4 (3): 219–35. https://doi.org/10.1300/j082v04n03_01.
- Charmaz, Kathy. 2000. Review of Grounded Theory: *Objectivist and Constructivist Methods*. In *Handbook of Qualitative Research*, edited by N. K. Denzin and Y. Lincoln, 509–35. London: Sage Publications, Inc.
- Constantine Sedikides, and Steven Spencer. 2007. *The Self*. New York; Psychology Press.
- Feick, David L., and Frederick Rhodewalt. 1997. The Double-Edged Sword of Self-Handicapping: Discounting, Augmentation, and the Protection and Enhancement of Self-Esteem. *Motivation and Emotion* 21 (2): 147–63. <https://doi.org/10.1023/a:1024434600296>.
- Fenichel, Otto. 2006. *The Psychoanalytic Theory Of Neurosis*. Routledge. <https://doi.org/10.43249780203981580/>
- Festinger, Leon. 1962. "Cognitive Dissonance." *Scientific American* 207 (4): 93–106. <https://doi.org/10.1038/scientificamerican106293->
- Frantz Fanon. 1968. *The Wretched of the Earth*. Pref. by Jean-Paul Sartre. New York, Grove Press.
- Freire, Paulo. 1970. *Pedagogy of the Oppressed*. Translated by Myra Bergman Ramos. New York: Seabury Press.
- Hasan, Manar. 2002. "The Politics of Honor: Patriarchy, the State and the Murder of Women in the Name of Family Honor." *Journal of Israeli History* 21 (1–2): 1–37. <https://doi.org/10.1080/13531040212331295842/>.
- Heine, Steven J. 2012. *Cultural Psychology*. New York; W.W. Norton.
- Hill, Reuben. 1949. *Families under Stress*. New York: Harper.
- Kohler Riessman, Catherine.. 2008. *Narrative Methods for the Human Sciences*.
- إبراهيم، زينب. 1993. *صورة السلطة الوالدية لدى المراهقين*. رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس. ص 104.
- حجازي، مصطفى. 1985. *التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور*. بيروت; المركز الثقافي العربي.
- حجازي، مصطفى. 2005. *الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية*. المغرب: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- حجازي، مصطفى. 2015. *الأُسرة وصحتها النفسية- المقومات، الديناميات، العمليات*. بيروت; المركز الثقافي العربي.
- حمودة، سليمة. 2014. "التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وانعكاساتها على السلطة الوالدية كما يدركها الأبناء في الأسرة الجزائرية". [أطروحة] كلية العلوم النفسية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر. <http://thesis.univ-biskra.dz/id/eprint/1188>
- عكّة، محمد إبراهيم. 2013. *أساليب التنشئة الاجتماعية لدى الأسرة الفلسطينية في مدينة القدس*. مجلة البحوث والدراسات الإنسانية الفلسطينية. ص 245-280.
- فشقوس، إبراهيم. 1982. *سيكولوجية المراهقة*. القاهرة; مكتبة الأنجلو المصرية. ص 125
- Ann Laura Stoler. 1995. *Race and the Education of Desire : Foucault's History of Sexuality and the Colonial Order of Things*. Durham: Duke University Press.
- Baumeister, Roy F., Karen Dale, and Kristin L. Sommer. 1998. "Freudian Defense Mechanisms and Empirical Findings in Modern Social Psychology: Reaction Formation, Projection, Displacement, Undoing, Isolation, Sublimation, and Denial." *Journal of Personality* 66 (6): 1081–1124. <https://doi.org/10.11116494.00043-1467/>
- Bion, Wilfred. 1970. Container and Contained. In *Attention and Interpretation: A Scientific Approach to Insight in Psycho-Analysis and Groups*, 72–82. London: Tavistock.
- Burton, Mark. 2012. "Liberation Psychology: a constructive critical praxis". Extended version of keynote talk given at the Third Critical Psychology Symposium, Diyarbakir, Turkey, 1516- September.

- <https://doi.org/10.11771066480716679651/>
- Rosino, Michael. 2016. "ABC-X Model of Family Stress and Coping." *Encyclopedia of Family Studies*, March, 1–6. <https://doi.org/10.10029781119085621/wbefs313>.
- Savin-Williams, Ritch C., and Lisa M. Diamond. 2000. Sexual Identity Trajectories Among Sexual-Minority Youths: Gender Comparisons. *Archives of Sexual Behavior* 29 (6): 607–27. <https://doi.org/10.1023/a:1002058505138>.
- Shalhoub-Kervorkian, Nadera, and Suhad Daher-Nashif. 2012. "The Politics of Killing Women in Colonized Contexts". *Jadaliyya*. Retrieved from: <https://www.jadaliyya.com/Details/27636/The-Politics-of-Killing-Women-in-Colonized-Contexts>
- Shalhoub-Kervorkian, Nadera, and Suhad Daher-Nashif. 2013. "Femicide and Colonization." *Violence Against Women*. 19 (3): 295–315. <https://doi.org/10.11771077801213485548/>.
- White, Michael, and David Epston. 1990. *Narrative Means to Therapeutic Ends*. New York ; London: W.W. Norton & Company, Copyr.
- Willoughby, Brian L. B., Neena M. Malik, and Kristin M. Lindahl. 2006. "Parental Reactions to Their Sons' Sexual Orientation Disclosures: The Roles of Family Cohesion, Adaptability, and Parenting Style." *Psychology of Men & Masculinity* 7 (1): 14–26. <https://doi.org/10.10379220.7.1.14-1524/>.
- Willoughby, Brian L. B., Nathan D. Doty, and Neena M. Malik. 2008. "Parental Reactions to Their Child's Sexual Orientation Disclosure: A Family Stress Perspective." *Parenting* 8 (1): 70–91. <https://doi.org/10.108015295190701830680/>.
- Winnicott, Donald W. 1968. *The Child, the Family and the Outside World*. Harmondsworth, Middlesex; Penguin Books.
- Yuval-Davis, Nira. 2009. "Women, Globalization and Contemporary Politics of Belonging." *Gender, Technology and Development* 13 (1): 1–19. <https://doi.org/10.1177097185240901300101/>.
- Los Angeles: Sage Publications.
- Kohut, Heinz. 1971, *The Analysis of the Self*. New York; International Universities Press.
- Kubler-Ross, Elisabeth, and David Kessler. 2005. *On Grief and Grieving: Finding the Meaning of Grief Through the Five Stages of Loss*. Simon and Schuster.
- Lena Meari. 2015. "Re-Signifying 'Sexual' Colonial Power Techniques: The Experiences of Palestinian Women Political Prisoners." In *Rethinking Gender in Revolutions and Resistance : Lessons from the Arab World*, edited by Maha El Said, Lena Meari and Nicola Pratt. London: Zed Books Ltd.
- Martin-Baro, Ignacio. 1996. *Writings for a Liberation Psychology*. Edited by Adrienne Aron and Shawn Corne. London, England: Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.
- McCarn, Susan R., and Ruth E. Fassinger. 1996. "Revisioning Sexual Minority Identity Formation." *The Counseling Psychologist* 24 (3): 508–34. <https://doi.org/10.11770011000096243011/>.
- Nowell, Branda, and Neil Boyd. 2010. "Viewing Community as Responsibility as Well as Resource: Deconstructing the Theoretical Roots of Psychological Sense of Community." *Journal of Community Psychology* 38 (7): 828–41. <https://doi.org/10.1002/jcop.20398>.
- Pines, Malcolm. 1985. "Mirroring and Child Development." *Psychoanalytic Inquiry* 5 (2): 211–31. <https://doi.org/10.108007351698509533585/>.
- Richter, Brian E J, Kristin M Lindahl, and Neena M Malik. 2017. "Examining Ethnic Differences in Parental Rejection of LGB Youth Sexual Identity." *Journal of Family Psychology: J Fam Psychol* 31 (2): 244–49. <https://doi.apa.org/doiLanding?doi=10.10372%Ffam0000235>
- Roe, Stuart. 2016. "'Family Support Would Have Been Like Amazing.': LGBTQ Youth Experiences With Parental and Family Support." *The Family Journal* 25 (1): 55–62.

عن البحث

يتمحور البحث حول مسارات وأنماط تفاعل بها عائلات فلسطينية مع عيش أحد أولادها تجارب جنسية وجندرية مختلفة في سياق القهر الذي نعيش فيه فلسطينيًا؛ بناءً على جهد بحثي ميداني قابلنا فيه أشخاصًا يعيشون تجارب جنسية وجندرية مختلفة، وأمهاتهم/م، وأخصائيين/ات نفسيين/ات.

عن القوس

القوس للتعددية الجنسية والجندرية في المجتمع الفلسطيني تعمل في مناطق مختلفة في فلسطين منذ ما يقارب العقدين، في سبيل فتح النقاش في المجتمع الفلسطيني حول قضايا التعددية الجنسية والجندرية لمجتمع أكثر احتواءً واحترامًا. تعمل القوس في مجالات مختلفة، نحو: مشاريع دعم لثليات/ين وعابرات/ين وثنائيات/ي الليل الجنسي وغيره؛ تدريبات ومرافعة مع مؤسسات المجتمع المدني ومجموعات مهنية؛ الإنتاج للعربي والثقافي حول قضايا التعددية الجنسية والجندرية. ويقوم عمل المؤسسة على جهود وانخراط عشرات الناشطين وللتطوعات من خبرات وخلفيات مختلفة.



للتعددية الجنسية والجندرية
في المجتمع الفلسطيني



@جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة القوس للتعددية الجنسية والجندرية

في المجتمع الفلسطيني 2021

ISBN 978-9950-8547-0-3



9 789950 854703